تجديد

مناهج إعداد المعلمين

في العراق

مع نظرة خاصة
إلى الثقافة العربية - الإسلامية

تأليف

الدكتور خالد الهاشمي
عميد دار المعلمين العالية في بغداد

تعريب

عبد العزيز البسام

الناشر : دار العلم للملايين

2271
.3245
.389
.57

2271.3245.389.57

2271.3245.389.57
al-Hashimi
Tajdid manahij

DATE | ISSUED TO

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

Princeton University Library
32101 072541699

Tajdīd manāhij i'dād al-mu'allimīn fi al-'Irāq

تجديد

مناهج إعداد المعلمين

في العراق

مع نظرة خاصة
إلى الثقافة العربية - الإسلامية

تأليف

الدكتور خالد الهاشمي
عميد دار المعلمين العالية في بغداد
Khālid al-Hāshimi
دكتور في الفلسفة من جامعة اوهايو الرسمية بالولايات المتحدة
Ph.D. Ohio State Univ.

تعريب

عبد العزيز البسام
مدرس علم النفس بدار المعلمين الابتدائية ببغداد

الناشر : دار العلم للملايين
بيروت — ١٩٤٦

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
بيروت – ايلول ١٩٤٦

مقدّمة

•

مما لا شك فيه ان الحضارة العالميـــة تجتاز في القرن العشرين دور تحول وانتقال . وهي في ذلك تشبه من بعض الوجوه الحضارة الاغريقية في دور انتقالها من الافكار والآراء المؤسسة على التقاليد والمعتقدات الى الافكار والاراء المؤسسة عـــلى المعرفة المجرّبة ، كما تشبه من وجوه أخرى الحضارة العربية عندما اتصلت اتصالهـــا الوثيق بالحضارات اليونانية والرومانيـــة والفارسية والهندية في العصر العباسي لتزيد عناصرُها تنوعاً ومذاهبها فرقاً وشيعاً .

ومنشأ ذلك كله تطور في مقومات الحضارة ، يبلغ حداً من التفاوت والاختلاف يجعل بعض عناصرها غير منسجم مع البعض الآخر ، فتتفكك وحـــدتها وشخصيتها ، ويختل توازنها ، وتضطرب سيطرة الانسان على نفسه ومحيطه ،لتكون نتيجة ذلك تقلقلاً واضطراباً اجتماعياً ، وتبلبلاً في الافكار والآراء ، وفوضى في القيم والمقاييس الخلقية ، كالتي تسود مجتمعاتنا واندينا اليوم فنقلق لها اشد القلق ، ونفزع منها

(RECAP)
2271
.3245
.389
.57

اشد الفزع ، ونشعر بالحاجة الملحة الى وجوب عمل شيء تجاهها ينقذنا من هذا الوضع ، فنستبين بواسطته السبيل الذي يحقق لنا الاستقرار ويؤدي بنا الى النجاح .

والعالم العربي الاسلامي الذي اخذت ثقافته تؤثر وتتأثر بالثقافات الغربية بقوة منذ بداية هذا القرن يتمخض عن نفس الازمات والثورات الداخلية والخارجية التي يتمخض عنها العالم اليوم . فلا بد وسط هذه الفوضى الضاربة الاطناب والتبلبل والحيرة الشاملة من التثبت من معرفة الاهداف الصحيحة والمقاييس الخلقية الدقيقة والطرق الواضحة والنظم الاجتماعية الملائمة التي تضمن لامتنا غدها الناجح ومستقبلها الامين السعيد .

وكما ان العالم قد مرّ بمثل هذه الادوار الصعبة التي وهنت فيها قواه الادبية وبدا فيها تحكمه بالقوى الطبيعية والآلية المحيطة به هزيلا مما اضعف الايمان وزعزع الثقة في الامكانيات الواسعة لصلاح الانسان للتقدم الذي لا نهاية له — نقول كما ان العالم قد مرّ بمثل هذه الادوار فقد مرّ كذلك بادوار كثيرة استطاعت فيها الانسانية ان تتحكم بمصيرها وتملي ارادتها على الكون فتقرر مستقبلها وتعمل على الابداع والانشاء والاعمار الضرورية للاستقرار والتقدم والرقي . واذا ما رجعنا الى التاريخ وجدنا امثال هذه العصور الزاهرة بالتقدم والاستقرار متمثلة في عصر بركليس الاغريقي وعصر هارون الرشيد والمأمون العربي وعهد « الرنيسانس » او

البعث الاوروبي في القرن الثالث عشر وعهد الحركة العقلية [1] في انكلترة وفرنسة وغيرهما من البلدان الاوربية في القرن التاسع عشر ولكن قبل ان تتحول هذه الحركة الى المادية الجشعة وما نشأ عن ذلك من تطاحن عنصري واستعماري ، لا زال العالم يشكو من آثاره السيئة حتى اليوم .

غير ان التاريخ يدلنا ايضاً على ان السبب المهم الذي يعزى اليه سقوط المدنية الاغريقية ، ولعله نفس السبب الذي يعزى اليه سقوط مدنيتنا العربية الاسلامية ، هو خلقي ادبي حيث قد ضعفت القوى الادبية والروادع الخلقية واصبح الافراد يعيشون لانفسهم دون اي وازع قوي يرشدهم ويهيمن على سلوكهم فذهبوا وذهبت ريحهم .

أما أسباب التدهور في القرون الوسطى عامة فتعزى الى استعباد العقل واضطهاد الفكر الحر .

وهكذا يتضح لنا ان من أهم المشاكل التي يتعين على التربية معالجتها هي التوحيد الشامل في سلوك الافراد وفلسفتهم الاجتماعية ونظرتهم الى الكون والوجود التي تخلق منهم أفراداً مستقلي التفكير متزنين في شخصياتهم منسجمين في أحكامهم وسلوكهم ، باعتمادهم على مبدأ أو مثل أعلى يسترشدون به ويزنون سلوكهم بحسب مقاييسه فلا يأتون بالاعمال المتضاربة ولا يجمعون في انفسهم المتناقضات .

هذا هو المفتاح لهذا السّفر وهذا هو السر الذي يفسر

(1) Rationalism

تأكيدنا المتكرر خلال هذه الفصول على وجوب الاخذ بمبدأ التوحيد والانسجام في السلوك وفي المناهج التعليمية وفي الحياة الاجتماعية على أساس فلسفة واضحة لنخلص من هذا التبلبل المرير والفوضى الصارخة وذلك لفقدان الهدف الواضح والمعايير أو المقاييس الصحيحة التي تساعدنا على التمييز بين الصالح والطالح ، والحسن والقبيح والتي بدونها لا نعرف الاتجاه ولا نستطيع وضع الخطط لتشييد الكيان الذي نوجوه لمستقبلنا ومستقبل امتنا .

ولما كانت عملية التربية والتعليم متصلة بالنظام الاجتماعي القائم أو الحضارة الراهنة ومتأثرة بها وكان من وظائفها الاساسية مساعدة ابناء الامة على تكوين اتجاهات ونزعات فكرية وعاطفية صحيحة نحو الكون والمجتمع ، ولما كان من واجبات المدرسة المهمة التعرف إلى العناصر المرغوب فيها في المجتمع وتوجيه الناشئة توجيهاً صحيحاً لفهمها وتقديرها وتحقيقها لتستطيع بذلك خلق مواطنين صالحين فان مهمة التربية والمدارس في التوجيه الاجتماعي وانقاذ الموقف الحاضر مهمة اساسية .

والحق ان المؤسسات الاجتماعية الاخرى ، على اهميتها ، لا تضاهي المدارسَ في عمق تأثيرها ومدى نجاحها في هذا السبيل..

والنتيجة الطبيعية المترتبة على ما تقدّم تتلخص في وجوب إلمام المعلمين والمربين في العراق وفي العالم العربيّ عامةً الالمامَ العميق بكافة العناصر والمقومات

التي تكوّن حضارة أو ثقافة امتنا العربية الاسلامية وتحليلها تحليلاً يساعد على اكتشاف مواطن القوة والضعف فيها ليستطيعوا بذلك ارشاد الجيل الجديد الى الكنوز والقيَم الغالية الموجودة في تراثنا وحضارتنا والى معالجة مواطن الضعف فيها واستدراكها ، وبذلك وحده تمكن ابناءنا من فهمها وتقديرها والاعتزاز بها والدفاع عنها والتضحية في سبيلها والتعبئة التامة للعناصر والعوامل النافعة الحية فيها لخدمة العراق وللعرب عامة .

ولا بد من الاشارة الى اننا قد استعملنا الثقافة في هذا الكتاب بمعناها (الانثربولوجي) الذي يشمل :

اولاً – حضارة الامة المادية التي تتضمن كافة وسائل الانتاج والتوزيع فيها ، وبكلمة اخرى ، نظامها الاقتصادي .

ثانياً – المؤسسات الاجتماعية كالعائلة والحكومة ثم الصناعة والتجارة والمطبوعات والاذاعة ووسائط النقل الاخرى ثم المعابد والمدارس والاندية والجمعيات ثم العادات والتقاليد واللغة القومية والتعداد والمقاييس والفنون المختلفة .

ثالثاً – نفسية القوم وما تتضمنه من معرفة الدوافع والحالات اوالاوضاع النفسية وأثرها في تكوين الافكار والاراء اذ انه بمعرفة هذه الدوافع وما يُحبّ الأفراد ويكرهون بصورة عامة يمكن التنبؤ بوجهة سلوكهم .

وختاماً نسأل الله مخلصين تحقيق رسالة هذا السفر وان يجعله خالصاً لوجهه ولخدمة ناشئة الامة والمعنيين بشؤون التربية

والتعليم فيها والغيارى على حسن توجيه الامة ورسم الخطط لغدها ومستقبلها . ولا بد من الاشارة الى ان هذا الكتاب يمثل في الاصل اطروحة وضعت باللغة الانكليزية لتعريف الغربيين بالثقافة العربية الاسلامية ، ولذلك فقد اعتمدت فيه ، في الدرجة الاولى ، على المصادر الاجنبية التي في متناول ايديهم . وهو محاولة لتطبيق احدث النظريات التربوية والتعليمية على مناهجنا بغية الانتفاع منها في التحليل والتوجيه الاجتماعي المطلوب .

وقد تفضل الزميل الفاضل الاستاذ عبد العزيز البسام فنقله الى العربية وتولت « دار العلم للملايين » ببيروت الاشراف على طبعه واخراجه بهذه الحلة القشيبة فللمعرب الكريم وللدار العامرة ولاستاذي المربي الدكتور (بوده) Boyed H .Bode [1] أقدم خالص الشكر اعترافاً بالجميل . وحسبي ان اكون بهذا قد قمت ببعض الواجب القومي المفروض عليّ ، والله ولي التوفيق .

خالد الهاشمي

---

(١) استاذ فلسفة التربية بجامعة اوهايو الرسمية . وهو معدود أحد كبار الثقات في التربية والتعليم بالولايات المتحدة .

تمهيدٌ في الثقافة العربية الإسلامية

يقع العراق ، ارض ما بين النهرين ، كما يعرفه الغربيون من اسمه الاغريقي ، في الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب ، في غربي آسيا مؤلفاً الطرف الجنوبي الشرقي من الهلال الخصيب ، الذي تؤلف سورية وفلسطين طرفه الجنوبي الغربي . ويحده من الشمال تركيا ، ومن الشرق ايران ، ومن الجنوب خليج فارس وشبه جزيرة العرب ، ومن الغرب الصحراء السورية (بادية الشام) .

والعراق قطر خصيب وقد قيل في ارضه « ما إن تمسها حتى تبتسم عن غلة » . وقد أضاف اكتشاف منابع النفط فيه كثيراً الى ثروته على الرغم من ان نصيبه من مستخرجات النفط ضئيل . واذا استثنينا منطقة جبلية في شماله الشرقي بمحاذاة الحدود الايرانية ، فالارض على الاجمال مستوية يخترقها دجلة والفرات ويؤلف القسم الجنوبي منها سهلاً جد خصيب .

ولموقع العراق اهمية جغرافية ستراتيجية ، فهو يؤلف جزءاً مهما من ذلك الجسر الارضي الذي يبتديء بمصر ففلسطين وسوريا ويندفع خلال العراق الى داخل آسيا . وذلك الجسر الارضي ، وان كان سبيلاً الى تبادل فكري ومادي بين الشرق والغرب منذ اقدم العصور ، فقد شهد مرور جحافل من الغزاة الناهبين ، وعبرته جيوش جرارة اشتبكت بمعارك حامية من أجل السيادة والكسب . فالعراق جزء من هذا الطريق العالمي وفيه تلتقي عدة طرق أخرى تتصل بنواحي المعمورة المهمة .

أما خط السكة الحديدية الذي كان دعاة الاستعمار الالماني قد وضعوا تصميا له قبل الحرب العالمية الماضية وارادوا به أن يصل برلين ببغداد فاسموه خط برلين – بغداد ، فقد تم انشاؤه والعراق لحسن الحظ دولة مستقلة . وبذلك اتصل العراق باوربا من طريق السكة الحديدية . كما أن فتح قناة السويس التي تصل البحر الابيض بالبحر الاحمر جعل اتصال العراق باوربا من طريق البحر اقصر كثيراً من ذي قبل . اما خطوط الطيران فقد كان يمر منها بالعراق حوالي خمسة خطوط قبل بدء هذه الحرب العالمية الثانية – وفيها ترتبط قارات أربع هي اوربا وافريقيا وآسيا واستراليا . ومن هنا كان مركز العراق خطيراً جداً بالنسبة الى الصلات الدولية في المستقبل ، وهذه الخطورة لا تتوقف على الناحية الاقتصادية فحسب بل تتعداها الى كافة نواحي

التعاون الدولي بما فيها التفاهم الاجتماعي .

إن مثل هذا المركز هو الذي جعل من العراق في القديم وسطاً تتصهر فيه حضارات متعددة ، وهو الذي يدفع به في الوقت الحاضر الى التملص من حال تهيمن عليها تقاليد عصور قديمة الى حال يسودها التفكير الحديث . ودراسة تطور الثقافة في اي قطر تقتضي البحث عن اصول الاجناس التي يتكون منها سكان ذلك القطر ، وعن عقائدهم ونظمهم الاجتماعية لما يلقي ذلك البحث من ضوء على مزايا تلك الثقافة وعناصرها . وما دمنا في صدد دراسة الثقافة العراقية ابتغاء تفسيرها والنظر في امكان تكييفها لتفي بمطالب العصر ، لنتقدّم بعدُ إلى النظر في تحديد طرق إعداد المعلمين على اساس من تلك الثقافة ، فيتحتم علينا ان نجعل الحديث عن الاجناس التي يتألف منها العراق خطوة اولى في هذه الدراسة .

سكن العراق حوالي سنة ٣٥٠٠ ق.م ، البابليون والآشوريون ، وتلاهم الكلدانيون محتلين القسم الجنوبي الشرقي من الهلال الخصيب الذي احتل قسمه الجنوبي الغربي العموريون والكنعانيون والفينيقيون حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م . وحوالي سنة ١٥٠٠ ق.م ، سكن الاراميون سوريا ، والعبريون فلسطين . ولم يكن معروفاً ان هذه الاقوام ذات صلات فيما بينها في الثقافة والجنس ، حتى القرن التاسع عشر ، بعد ان حُلت رموز الكتابة القديمة التي خلفوها فبان منها ان تلك الاقوام على صلة في النسب والثقافة .

وقد ظهر من نتيجة الدراسات المقارنة للغات البابلية والآشورية والارامية والعبرية والعربية والحبشية ان هناك تشابهاً عظيما في صيغ أزمنة الفعل وفي تصاريفه ، بالاضافة الى التشابه العظيم في المفردات . وقد اتضح فوق هذا ان هناك تشابهاً في المؤسسات الاجتماعية وفي الاديان ، وعلى درجة أقل في الصفات الجسمية ايضاً . « فكان مما يميز تلك الاقوام النزعة الدينية العميقة والخيال المشبوب ، والفردية المتميزة ، وشدة البأس والضراوة [1] » والنتيجة المنطقية لهذا الاكتشاف هي ان تلك الاقوام جميعاً ذات اصل مشترك . وقد تقدم الباحثون بآراء عديدة عن الموطن الاصلي لتلك الاقوام ، وهناك في الوقت الحاضر اكثر من خمسة فروض فيما يتعلق بذلك الموطن فيرى (كونتينو) Contenau في الفصل الثالث من كتابه (Manuel d'archeologie Oriental) ان (أمورو) (Omuro) في الطرف الغربي من الهلال الخصيب (سوريا) هي الموطن الاول للساميين . [2] وعلى الضد من ذلك ما يراه بعض الباحثين من ان العراق (الطرف الشرقي من الهلال الخصيب) هو مسكن الساميين الاصيل .

اما « Ungnad» في كتابه (Kulturfragen) فيرى ان الاقوام السامية والآرية Indo - Europeans تفرعت من اصل واحد

---

(1) Hitti , Philip , History of the Arabs p . 11 - 12

(2) Speiser,Ephraim A. :Mesopotamian Origins, Pennsylvania Press . 1930 , p . 124

كان مقره الاول اوربا [1] .

وهناك من الباحثين من يرى ، على اساس من فقه اللغات السامية والحامية ، ان الموطن الاول لتلك الاقوام هو شرق افريقيا . على ان اكثر البـــاحثين من مواطنين واجانب ، يرون ان شبه جزيرة العرب هي مقر الساميين الاول . والادلة على هذا الرأي ترجح على غيرهـا [2] وشبه جزيرة العرب هذه ارض يحيط بها الماء من جهات ثلاث في حين تحيط بها الصحراء من جهتها الرابعة . واذا استثنينـا سواحلها الصالحة للسكنى ، فأغلب اجزائهـا صحراوي . على انهـــا بقيت خلال العصور المتعاقبة ، ولأسباب ليست على تمام الوضوح ، مصدراً لا ينفد يوالي إمداد ما حوله بالسكان . وآية ذلك ما تعاقب منها من موجات المهاجرين من الاكديين والاشوريين والفنيقيين ثم العرب المسلمين . وتلك هجرات لا مفر من تفسيرها ، تفسيراً جزئياً على الاقل ، على اساس اقتصادي . فكلما أصاب الشح موارد شبه الجزيرة بسبب من تـــكاثر السكان ، اندفع قسم منهم بالضرورة باحثاً عن مستقر جديد ، ليقوده البحث طبعاً الى الهلال الخصيب ومـا يجـــاوره من البلاد .

ولا يتم فهم تاريخ هـــذا الجزء من المعمورة الا على اساس الاهتمام بهذه الظاهرة من الهجرات الجماعية الكبيرة

---

(١) المرجع نفسه ص ١٢٦

(2) Hitti , of . cit . , p 10

وقدر أثرها . وما تاريخ الهلال الخصيب الا سلسلة من الصراع بين الاقوام المستوطنة وبين المهاجرين الوافدين من شبه جزيرة العرب ، بسبيل الاستئثار والتغلّب .

ظهور العرب والاسلام

لقد رأينا ان تاريخ العرب متصل بتاريخ البابليين والاشوريين وغيرهم من امم الشرق الادنى . غير ان سكان شبه جزيرة العرب أخذوا يؤسسون في الجنوب الغربي من بلادهم دولاً عربية بحتة ذات حضارة خاصة بها ، ترقى الى حوالي سنة ٩٠٠ ق . م ، منها الدولة السبأية والدولة المعينية . وبالاضافة الى هذه الممالك التي ظهرت في اليمن نشأت بضع دويلات قبل الاسلام في شمالي شبه الجزيرة وفي وسطها منها الدولة النبطية وعاصمتها بطرا (Petra) التي تقع فيما يسمى اليوم شرق الاردن ، والدولة التدمرية وعاصمتها تدمر (Palmyra) الواقعة في صحراء سوريا ، ودولة الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق . ولم يكتب لهذه الحركات كلها ان تترك من الأثر ما تركته الدعوة العربية الاسلامية التي اتت مليئة بالحماسة الروحية والعصبية الدينية داعية الى المبادىء الانسانية السامية من الاخوة والتسامح والعدل . وقد عمت سكانَ شبه الجزيرة على اثر الدعوة المحمدية يقظةٌ روحية تكاد تكون عامة ، لعلّ بشائرها قد بدتْ قبيل الاسلام مباشرةً . فقد كانت الوثنية وما تدعو اليه من أرباب متعددة

آخذة في الانحلال والتفكك . وكانت فكرة التوحيد والايمان بالله واحد قد بدأت تظهر تدريجاً في مكة وما جاورها . وكانت مكة مركزاً تجارياً مهماً فوق كونها مركزاً دينياً تحج الى الكعبة فيها قبائل العرب ، وكانت تنعقد فيهـا اسواق العرب يتبارى فيها الشعراء وتلتقي فيها القبائل من مختلف الانحاء . ففي عكاظ وفي اماكن اخرى كانت تقام اسواق سنوية ، يجتمع اليها الناس ، فيبدأون بالتجارة ، حتى إذا أنهوا شؤون البيع والشراء التفتوا الى الشعراء منـهم يتبارون فيما بينهم ويتنافسون أيهم يحوز قصب السبق ويظفر بالجوائز ويعود وقصيده تردده الالسنة في طول البلاد وعرضها مخلداً اسمه بين الفحول . غير ان الجهل والفرقـة والحروب المتواصلة يشنها بعضهم على بعض طلباً للثأر ورغبة في الغزو والنهب دفعاً للحاجة ، كانت هي الأحوال السائدة بين معظم سكان شبه الجزيرة . ولم تكن تضمهم وحـدة سياسية أو دينية . وكانت الاحوال الاقتصادية سيئة ، فهم أبـداً في قلق واضطراب عـام . وكان بعض المفكرين ورجال الدين فيهم يبصرون ما عليه قومهم من سوء الحال والجهل والتفكك ، فلا يرون للخلاص سبيلا إلا من طريق دعوة دينية جديدة . وكان بين هؤلاء من تكهن بظهور الدين الجـديد واعلن بشائره . فلما أتى الاسلام محققاً لهـذه البشائر ؟ أتى في الظرف الملائم ، شأن جميع الاديان الحقة ، فكان آخر دين ظهر في أرض الأديان والانبياء .

والاسلام في اصله ثورة التوحيد في وجه الوثنية . وهو يعني كما يدل اللفظ استسلام النفس لله وتوكلها عليه . وقد اتى يتم رسالة النصرانية واليهودية بتفسير خاص به ، مجدداً لها بما يلائم وجهة النظر العربية ويجعلها تفي بمطالب العرب وتناسب احوال البيئة لديهم . واهم غاية تنطوي عليها رسالة الاسلام أن يدفع بالانسانية الى مستوى أعلى يضمن لها التحرر الروحي والخلقي . فكان اول ما عمله ان قضى على ربقة الخوف والذل للاوثان والاصنام المتعددة بتعدد القبائل فأعتق النفوس وجمعها على الايمان باله واحد . وكان سبيله الى ذلك ان يستعين منذ البدء بالمعرفة والعلم وان يلجأ الى العقل في محاربته للجهل وما ينشأ عنه من تعصب ذميم وخرافات عقيمة . فهو لذلك عامل تحضير وتهذيب لأناس جد متأخرين ، أناس تعوزهم سطوة النوازع الخلقية ، اذ كان بين قبائلهم من يأتي الفظيع من الامر من وأد البنات خشية الاملاق أو خشية العار . وقصة هند زوج ابي سفيان وتمثيلها بجثة حمزة في غزوة أحد تصور ضرباً من البربرية التي كانت نفوس القوم تهبط اليها في بعض الاحيان اذ ذاك . فقد كانت تريد ان تثأر لأبيها وأخيها اللذين قتلا في غزوة بدر ، فاخذت تحرض على قتل حمزة ، ووعدت « حبشياً » أن تعتقه إن هو فعل ذلك . فلما انجز ما سألت ، لم تكتف به هند ، بل قطعت كبد البطل القتيل واخذت تمضغها ، ونزعت امعاءه لتتخذ منها قلادة تتقلدها ! ذلك نمط

من النفوس التي أتى محمـــد (ص) ليصل بينهـا باسباب الاخوة والوداد، وذلك مثل من العـادات التي وقف (ص) ينكرها على قومه. حتى اذا نتشرت رسالته قضي عليها، وصارت اثراً بعد عين.

كان إيمـان العرب برسالة النبي محمد (ص) فتحـاً عظيما مصدقاً لقول كارليل :- « ما ان تؤمن امـــة حتى يعود تاريخها حافلاً عظيما، تسمو به النفوس وتعتز. » فقد انتقل بهم الاسلام في وقت جـــد قصير من حالهم تلك الى حال كشفت عن كوامن القوة والقيـــادة فيهم، فنشروا ديناً عالمياً، وانتجوا حضارة عالمية وأسسوا امبراطورية عالمية، لم تبلغ مداها امبراطورية الاسكندر من قبل. وقد كان مناط القوة في الاسلام ما يرتكز عليه من مبادىء انسانية سامية تدعو الى اخوة بشرية تعلو عـــلى فوارق الجنس والسياسة وتفرض العدل والمساواة في جميـــع ما يربط بين بني الانسان من صلات فهم سواسية امام القانون، وذلك أساس النظام السياسي والمدني في الاسلام [1]، واليـــه اشار (سنوك هورگروني) Snouck Hurgronye في خطبته الجامعية سنة ١٩٢٢ عن الاسلام والمسألة العنصرية - « إن للاسلام ليداً طولى في حل مشكلة التفاهم بين الامم، وتلك مزية لا ينكرها عليه احد [2]. » ومن المهم ان يُلاحظ ان ما اشرنا اليه

(1) Arnold, Sir Thomas, and Guillaume, Alfred, editors; The Legacy of Islam, p. 286
(2) Gibb, H. A. R.; Whither Islam.

من صفات العدل والمساواة التي تميز الاسلام لم يكن اثرها ليقتصر على المسلمين فقط ، فقد خضع للنظام الاسلامي اناسٌ من غـــير المسلمين ، فاصبحوا جزءاً لا ينفصل من المجتمع الاسلامي . واولئك هم اهل الذمـــة او (الذميون) وبينهم أهل الكتاب من النصارى واليهود والصابئة ، يضاف اليهم وثنيو حران ، والبربر ومجوس فارس .

وقد جاء في عهـــد عمر (رضى الله عنه) لأبي موسى الأشعري واليه على الكوفة : « وآسِ بين النـــاس في مجلسك حتى لا يطمـــع قوي في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

ولم يفت عمر (رضي الله عنه) ان يقتص من ابن عمرو ابن العاص واليه على مصر حين اعتدى على قبطي وهمـــا يتنازعان حول سباق الخيل ، فقال يوبخه : « متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا » .

تلك الروح الديمقراطيـــة التي ترى في الاحسان وحب الخير والعمل بموجبه وانكار الاعتـــداء اصلاً يجب أن تقوم عليه علاقات الناس تؤمن بالتسامح وتدعو الى الاخوة هي الروح التي اتسمت بها شخصية محمد (ص) وحققتهـــا حياته ، فكان خير أسوة لأتباعه يستنون بسنته ويرون فيه مثلاً أعلى يطمحون إلى اقتفائه . والسر في نجاح دعوته ذلك النجاحَ العظيم يرجع الى خُلقه السامي وصدقه والى تلك الانسانية الشاملة التي انطوت عليهـــا نفسه الكريمة ، حتى أوتي ما لم

يؤت أحدٌ غيره ، فبشر بدين وأوجد أمة وأسس امبراطورية وأصبح له من الاتباع في الوقت الحاضر حوالي مائتي مليون منتشرين في مختلف بقاع المعمورة ، بينهم خمسون مليوناً من العرب ، يسكنون بلاد العربية ، وان لهم من وحدة الجنس والدين واللغة والتقاليد ومن اتفاق المصالح الاقتصادية ، ما يهيء لهم وحدة شاملة تجعل منهم هيئة اجتماعية واحدة .

لم يكن الاسلام لينتشر انتشاره العظيم بالعسف والقوة ، على حد السيف ، ولكن تلك المباديء السامية التي أتى ببشر بها هي التي هيأت له ذلك الانتشار ، فلم يمض على وفاة النبي قرن واحد حتى كانت سوريا وفلسطين ومصر والعراق قد انضوت تحت لواء الاسلام ، وحتى اندفع غرباً فضم شمال افريقيا والاندلس الى حدود الاطلنطي ، وشرقاً فأظلّ فارس وافغانستان وتركستان . وكان المسلمون من العرب اذا فتحوا بلداً تركوا لأهله الخيار بين اعتناق الدين الجديد أو دفع الجزية ، ولم يكن تاريخ العالم قبلهم ليعرف ، كما يقول بكتول (Pickthall) « الا قوماً مقهورين يبقون تحت رحمة الفاتحين مهما كان استسلامهم تاماً ، لا يغير من ذلك كون الفاتحين والمقهورين على دين واحد » .

أما الشريعة الاسلامية فقد قضت أن من يعتنق الاسلام من الامم المغلوبة فله ما للفاتحين من حقوق . اما من شاء ان يبقى على دينه فما عليه إلا أن يؤدي الجزية لقاء الدفاع عنه ،

(1) Thomas , Bertram ; The Arabs , p . 114

وله بعد ذلك جماع حرية العقيدة وحق في الحماية المكسب والمعاش .

وقد جاء في القرآن الكريم : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . » وقال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هـــو السميع العليم » . وفي الحديث النبوي : « سيروا باسم الله وفي سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً . »

ويناقض هذه المبادىء الديمقراطية التي اتى بها الاسلام ايما تناقض ، تلك النظمُ التي كانت سائدة إذ ذاك في سوريا تحت الامبراطورية البيزنطية ، وفي العراق تحت الامبراطورية الساسانية ، فهي نظم الحكم الفردي المطلق بطغيانه . فسهّل هذا على العرب الفاتحين دك هاتين الامبراطوريتين في ذلك الوقت الوجيز . وقد بقي من الوثائق التي حفظها التاريخ عن ذلك العهد ما كتبه اهل فلسطين ووجهوه الى جيش المسلمين من العرب حين حل بوادي الاردن مما يدل على روح المسلمين العـــالية ويشير الى الفرق بين معاملتهم ومعاملة الفـــاتحين السابقين للشعوب المغلوبة .

وقد كان في انتشار الاسلام منذ البدء مـــا يحمل على الظن انه دين فتح وسطوة . والحق أن الدين ، كما رأينا ، لم يعتمد في انتشاره على العنف والقسوة ، وان يكن المبشرون به قـــد وجدوا في ظل السيادة الاسلامية الظرفَ الملائم للقيام باعمال الهداية والتبشير . وانما يعزى انتشاره ،

اذا اردت الاجمال ، الى بواعث الحماسة الدينية والرغبة في الجهاد في سبيل الله . وسوء الاحوال الاقتصادية وما كان عليه القوم من ضنك العيش ، لا جرم كانا من العوامل التي تدفع بهم الى الفتح ، وقد يعزى اليهما بعض حوادث النهب التي يندر أن تخلو منها العمليات الحربية . وقد ساعد التفكك والفساد اللذان كانت عليهما الامبراطوريتان البيزنطية الرومية والساسانية الفارسية ، على انهيارهما ، وكان لانتصار الاسلام عليهما وظفره في ميادين السياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية ما مهد لرسالته ان تنتشر ولمبادئه ان تجد الى النفوس سبيلها .

الاسلام والعروبة

والحركة الثقافية الجديدة التي اوجدها العرب وهيأوا لها عوامل النمو والنشاط نتيجة عمليتين احداهما اسلامية والاخرى عربية [1] . والعمليتان وان كانتا متداخلتين الواحدة بالاخرى ، اشتركتا معاً في بناء الامبراطورية العربية الاسلامية ، فالواحدة منهما متميزة من الاخرى ، تختلف عنها في مجال الدعوة ومدى النفاذ . اما الاولى ، فيتضح من وصفنا للمباديء التي جاء بها الاسلام انها عملية روحية خلقية . وقد كان في دعوتها الى التحرر من الفوارق العنصرية ، ما جعلها عالمية وارتفع بها فوق الاختلافات السياسية والقومية

(1)Antonius , George : The Arab Awakening p . 15

فجاء انتشارها واسعاً وميسوراً .

واما الثانية ، فكانت غايتها تخليد التراث العربي ، في اللغة والاخلاق والعادات والاحتفاظ بصفاء الدم العربي ، وقد اتسمت بنزعة قبلية عنصرية اتت من انها كانت تناهض حركاتٍ عنصرية مثلها ، فكان عليها ان تحتل مكان هذه ، فعاد هذا التنافس مانعاً من سرعة الانتشار واتساعه .

ويمكن القول إجمالاً إن أي قطر ادركه الاستعراب فقد ظفر به الاسلام ، ولا يُعكَس[1] . فقد كانت العمليتان تامتين في العراق وسوريا وفلسطين ومصر وشمال افريقيا . أما فارس (ايران) وافغانستان وبعض اجزاء الهند ، وتركيا فكانت من حظ الاسلام وحده . فهي وان تكن ثقافاتها قد تأثرت بالثقافة العربية الى درجة شديدة في اللغة والاداب والعادات ، فقد احتفظ كل منها بطابعها الخاص به في اصول اللغة والصفات القومية الاخرى .

الثقافة العربية الاسلامية ثقافة عالمية

لقد كانت الثقافة العربية ثقافةً مرنة قابلة للتجدد والتكيف ، غنيةً بالامكانيات منطويةً على قوى اخلاقية ، فكانت لذلك قادرة على حسن استثمار وتجديد ما اتصلت به من ثقافات الامم المغلوبة . فامتزجت بالثقافة اليونانية الآرامية في سوريا ، والثقافة الساسانية الفارسية في العراق

(١) المصدر نفسه ص ١٦

والثقافة اليونانية القبطية في مصر ، متأثرةً بهذه الثقافات مؤثرةً فيها ، فخرجت من هذا المزيج أغنى وانشط واكثر تعقيداً ، فتهيأ لها أن تفي بمطالب المجتمع المعقد آنذاك ، وضمّت بين عناصرها النتاجَ المادي والفكري لتلك الامم المختلفة التي خضعت لها . فهذه الثقافة الجديدة اذن ليست عربية بحتة ، وانما هي ثقافة عربية اسلامية ، تشكلت حين استثمرت الثقافةُ العربية الاولى ما اتصلت به من ثقافات جديدة فاحسنت الاستثمارَ ، وتمثّلت عناصرَها فاحسنت التمثيلَ .

وفي كل حضارة ثلاثة عناصر مهمة : (١) مجموعة من الافكار والآراء العامة المتبلورة تحتوي على عادات ومذاهب في العيش والتفكير ليست ملكاً لطائفة معينة وانما هي نصيب كافة الطوائف والطبقات . (٢) ما تختص به كل طائفة أو طبقة من آراء ومذاهب . (٣) مجموعة من الآراء والمذاهب المتغيرة لم تستقر بعد أو تتبلور في شكل معين ، وهذه تتجه دائماً الى ان تُبطل ما يناهضها من الافكار العامة المتبلورة لتتخذ مكانها بدله وتصبح ملكاً شائعاً للجميع . إن وفرة هذه المجموعة الاخيرة من الافكار والمذاهب المتجددة دوماً هي التي تفسر مرونة الثقافة العربية الاسلامية ، ونزعتها الى التجدد والتكيّف .

والصلة الوثيقة بين الثقافة العربية الاسلامية وبين الثقافة اليونانية اكسبت الاولى وجهة جد مقاربة للوجهة التي

اتسمت بها الثقافة الغربية الحديثة . وهو تشابه آتٍ من ان كلتيهما استقت من موارد واحدة من الثقافة اليونانية ـ الرومانية . ولكن الشقة بعدت بينهما حين تملصت اوربا من ربقة النظام الثيوقراطي ، ذلك النظام الذي هيمن عليه رجال الدين في القرون الوسطى ، واعتصمت بالنظام القومي الفردي . ولم تلتقِ الثقافتان حتى القرن التاسع عشر حين تجدد اتصال الغرب بالشرق وبدت طلائع اليقظة العربية المباركة .

ولقد كان العراق إبان الدولة العباسية البوتقةَ التي انصهرت فيها تلك الثقافات المتعددة ، لينتج عن هذا المزاج تلك الثقافةُ الاسلاميةُ العلميةُ التي هيأت للعراق وللعرب عصرهم الذهبي ، وبوأتهم مكانهم المرموق في خدمة الانسانية وتقدمها بين الامم .

اللغة العربية

تتشابه الثقافتان اليونانية والعربية في ان لكليهما لغةً غنية واسعة . ولقد كانت العلوم التي تدور حول اللغة العربية خلال ايام الخلافة الزاهرة تمشي جنباً لجنب والبحوث الدينية ، حتى ليصعب التمييز بينها . وذلك لأن القرآن الكريم نزل أنموذجاً عالياً للبلاغة العربية فكان البحث فيه يقتضي حتماً دراية واسعة في العربية من جهة ، وهو بحثٌ لم يلبث ان انتهى برفد وإخصاب للعربية وعلومها من جهة

أخرى. وقد كان من الصدف الحسنة ان أتى الاسلام والعربية في ذروتها من حيث كوامنُ القوة والنشاط فيها .

ويمكن اعتبار العربية « يونانية » اللغات السامية ، فالآرامية مثلاً تبدو هزيلة فقيرة الى جانبها ، ولا تبلغ العبرية حتى في إبان ازدهارها مرونتها المدهشة[1] . وقد عفت وانقرضت كثير من اللغات القديمة وبقيت العربية حيةً قوية كما كانت قبل الف وثلاثمائة سنة . واستطاعت لغناها بالمفردات وسعتها وقابلية الاشتقاق فيها ، ان تفي بمطالب الحضارة المعقدة التي نشأت في ربوعها ، فامدت الفلسفة والعلم والفن بمصطلحاتها من دون ان يضيق صدرها أو يبدو عليها الوهن .

واللغة العربية تصلح للتعبير عن العلاقات في ايجاز ، وذلك اكثر من صلاح اللغات الآرية ، لان الافعال والاسماء سلسة القياد الى حد غير مألوف فترى العرب يقولون : يكسرُ ، يكسّر ، يكتسر ، يتكسّر ، ينكسر ، يكاسر ، يستكسر ، يتكاسر . وهذه الاشتقاقات كلها وجوه متعددة لمادة الفعل الاصلية (كسر) . ويمكن التعبير عنها بتغييرات في حروف العلة وزيادة الحروف الساكنة دون الاستعانة باضافة أفعال وضمائر كما هو الحال في اللغة

(1) Arnold, Sir Thomas and Guillaume, Alfred; The Legacy of Islam. Preface pp. VI-VII.

الانكليزية مثلاً [1] .

ولما لم يكن التحليل عن طريق القياس والاستدلال مزية أصيلة في العربية فقد عوضت منه بسعة مفرداتها حتى لتجد اسماء خاصة للضروب المختلفة من الشيء الواحد . وقد فاق نمو اللغة العربية ، وتشبهها في ذلك اليونانية ، تطورَ آداب السمت والاناقة حتى ليتردد على السنة المتكلمين فيها ثمانون اسماً للعسل ، ومائتان للأفعى ، وخمسمائة للأسد ، وألف للسيف ، وكل هذه المجموعة الوافرة مودعة في أخلاد قوم أميين [2] .

وقد كان للعرب القدامى فصاحة فطرية غير مقيدة بقواعد النحو أو خاضعة لشرائط علم العروض وعلم البلاغة التي نشأت بعد . يضاف الى ذلك ان نظرتهم كانت نافذة ، ومخيلتهم غنية موفورة ، وبديهتهم طيعة مؤاتية .

ان دراسة العربية بفنونها المختلفة عمل شاق . ولكنها كما تستعمل اليوم قد خلصت من بعض التعقيد ، وعادت وسطاً بين حذلقة القديمة منها ، وركاكة الدارجة على ألسنة الاميين والعوام .

دور العرب في الحضارة

يزعم اناس ان الدور الذي لعبه العرب في تلك الحضارة

---

(١) المصدر السابق : المقدمة .

(2) Gibbon , Edward , The life of Mohamed ; N.York . p . 10

الزاهية دور ضئيل ، فقد كانوا يأنفون مثلاً من امتهان الزراعة على انها عمل بدوي فتركوها لأيد غير عربية تتعهدها . ومثل هذا يصدق على الصناعات بل على العلوم والآداب . ويمضي هؤلاء في زعمهم فيقررون ان العرب وهم الفاتحون قد انصرفوا الى شؤون السياسة والحرب وتولوا امور الادارة ، وامتلاك الضياع الواسعة والقيام بالصفقات التجارية الكبيرة .

وليس من شك في ان العرب وقد اوقدوا جذوة الحماسة الدينية وهيأوا الوضع السياسي الضروري لنشأة تلك الفنون ، واوجدوا الجو الحر الملائم لها ، كانوا قد مهدوا المجال لنمو الحضارة وتقدمها . بل إن السند المادي لتلك الحضارة قد أتى من العرب انفسهم ايضاً[1] .

الخلق العربي

لقد تركت طبيعة الصحراء القاسية أثرها في البدوي فنشأ قوياً صلب العود قادراً على تحمل الصعاب . والبدو ، وهم أقلية بين العرب اليوم ، وان كانوا لا يزالون يوالون إمداد المتحضرين في أقطار العرب بدم جديد خالص ، يمثلون النموذج الصادق للعرب . يعيش الواحد منهم قانعاً بضآلة الموارد يرفض ان يستبدل بحريته وعاداته المثلى حياةَ أهل

(1) Foster , Henry Albert, The Making of Modern Iraq . p . 22

الحضر الركود مع ما فيها من ترف ورخاء ، وقد استطاع لذلك ان يحتفظ بنقاء خلقه ، فلم تنل منه مادية الحضارة ولا الضرورة التي تلجيء اهل المدن الى حيل الكسب ووسائل الارتزاق . ونشأت فيه ، لما تعوده من حرية يكاد لا يعوقها عائق ، عاطفة عارمة نحو الاستقلال جعلته يضيق ذرعاً بأي تدخل في شؤونه الخاصة . « وكم كان هذا الحرج وضيق الصدر باي تدخل في الشؤون الخاصة سبباً اسلم كثيراً من الامراء والخلفاء الى نهايات مفجعة[1] » وهذه الحرية التي لاتتقيد بشرط هي السبب فيما اتصفوا به من « الفردية » التي اذا جازت حدودها ادت الى الفوضى . والاصل في حكمهم أن تمتزج شدة الرئيس بينهم بحنو الأب فيه ، فان أساء رئيس منهم استعمال سلطته ، فما جزاؤه إلا الخروج عليه وشق عصا الطاعة من قبل اتباعه . وصحراؤهم الفسيحة وخطاهم الطليقة فيها ، يقابلها روح حرة طليقة أيضاً . ولم تقم فيهم قط جماعة من عائلة أو قبيلة عن قسر وإكراه ، وإنما مناط الاجتماع بينهم الرضى والقبول .

وهم يعقدون المؤتمرات حين يفدح الامر ، والمرء لا يطيع إلا عن كره أو اقتناع . فامتياز العرب بالخطابة في مثل تلك المؤتمرات ، وما عرف عنهم من الحلابة في القول ، اصدقُ دليل على ان طاعتهم إنما هي طاعة الاقتناع لا طاعة

(1) Foster, Henry Albert; The Making of Modern Iraq p. 14

الاكراه . وهذا يبين ما كان لهم من الحرية العامة[1] ، كما نسميها اليوم .

وكما امتاز العربي بالشجاعة وصدق الولاء للقبيلة فقد امتاز بالكرم . وتلك صفة تقتضيها حياة البادية وضرورة البيئة فجرى على مقاسمة الاخرين ما يملك ، لأن شح الصحراء وتكرر المحل قد علّماه مدى حاجته الى هؤلاء الاخرين ، فصار يود شيوع تلك الصفة ليراها متمثلة فيهم كما هي متمثلة فيه .

وإيحاش الصحراء وما يتعرض له الساري في أرجائها من الوحدة والتفرد ، جعلا الرزانة والاعتزاز بالكرامة ، وما يصحبهما من الصرامة وعدم التبذل ، صفات مميزة للعرب .

ويحسن ان نستعرض بعض ما كتبه في هذا الصدد السير برترام توماس (Sir Bertram Thomas) فقد قضى عدة سنين في بلاد العرب وخبر اخلاق البدو منهم خاصة ، وكان أول من اجتاز الربع الخالي من الاوربيين قال : « لقد طالما تملكني الاعجاب ، خلال سياحاتي في جنوب بلاد العرب بما عليه رفاقي البدو من حب الخير والاحسان . فقد كان يطول بنا السير ، مثلاً ، ساعات طويلة يشتد فيها علينا العطش ، ويصبح الماء ضالتنا المنشودة ، حتى إذا اهتدى احدهم الى مورد من بئر صغير – وكثيراً ما كنت اتقدم الجمع ومعي بدوي أو اثنان فقط – وقفا يتأملانني برضى

(1) Gibbon, Edward, op. cit.

وعطف وأنا أروي ظمئي ثم لا يتقدم واحد منهما ولو ليبلّ شفتيه بالماء وهو بين يديه ، والعطش شديد ، ربما يلحق بنا بقية الرفاق ، وقد يكون بيننا وبينهم مسيرة ساعة ، فيشترك الجميع في الشرب في وقت واحد[1] .

ومن آداب الفروسية عند البدوي حماية الضعيف والمستجير ولو فقد في سبيل هذه الحماية حياته . ولكن في حياة البدوي جانباً سيئاً يتمثل في كثرة الغزو والرغبة فيه . فالبدوي إذا دفعه الجوع الى الغزو يراعي اصول « اللعب » ما لم يُحلّه الثأر الملحاح من ذلك . فلا حاجة لديه الى إراقة الدم ، إلا اذا كان الخصم عنيداً مكابراً . اما اذا ارعوى وأعلن خضوعه في الوقت المناسب ، فله لقاء ذلك جمله وما يكفيه من المتاع ، لينصرف سالماً معافى ، وليستعد لمعاودة الكرة في غزوة اخرى[2] .

والسير برترام توماس معجب ايضاً بأمانة من صحبه من البدو ووفائهم له ، فانهم كانوا يعلمون انه يحمل آلاف الدولارات ، وكانوا هم انفسهم جياعاً لا يملكون شروى نقير ولو شاؤوا القضاء على حياته لما كانت هناك من سلطة تتعقبهم فتقتص منهم ، ولكنهم بقوا أوفياء له طوال رحلته التي استغرقت ثمانية وخمسين يوماً . وقد انتهى في تحليله للخلق العربي الى ما يأتي :

---

(1) Thomas , op . cit . p . 331

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٢

« يبقى العربي بين امسه ويومه ، محتفظاً بكبريائه ، معتزاً بشرفه وحبه للحرية ، وتلك اظهر ميزات النبل فيه . »

وذكر فوستر في معرض حديثه عن الخلق العربي ، الصورة التالية لصفات العرب المتحضرين :-

« من الاحكام السائرة عن العرب انهم قوم ذوو خيال وحيوية وحصافة ، يتمتعون بحظ حسن من اليقظة وسرعة الفهم ، ويبدو على سيماهم حبهم للحرية وتعلقهم بها ، وهم يحسنون متابعة ما يصغون اليه من حديث ، فان اجابوا مالوا الى الاطالة في جوابهم . ويكاد ينعقد الاجماع على الاعتراف بمواهبهم . ولكن مما يوصفون به انهم ذوو اهواء متقلبة [1] . »

وقد وصفهم توماس كارليل بما يأتي :

« وإنما تصلح بلادهم لقوم على جانب من طلاقة الحركة وعمق الوجدان . والدارس للخلق العربي يجد ثمة شيئاً من الطلاقة والحيوية ، وفوقها شيئاً من التأمل والحماسة . وهم أناس موهوبون نبلاء على وفرة من الشعور العارم ، مع قدرة على ضبطه والتحكم فيه ، وتلك سمة النبل والعبقرية . وهم أقرب الى القصد في القول منهم الى الهذر فيه ، غير انهم فصحاء ، ذوو ملكة في الكلام . وصفوة القول إنهم اهل جد وصدق [2] . »

---

(1)Foster, op. cit. pp. 13-14

(2) Carlyle, Thomas ;On Heroes and Hero Worship p. 44

ونوجز فنقول إن روح الحضارة الاسلامية وما انجزت يؤهلانها لمقام سامٍ بين حضارات العالم . والاسلام في اساسه دينٌ روحي خلقي . ولقد ساعده ما اتى به من مبادىء الاخوة والمساواة على ان ينتشر بسرعة مزيلاً من طريقه الفوارق العنصرية والقومية . وهذ الروح وما اتصف به الاسلام من التسامح جعلا امتزاجه بالحضارات الاخرى سهلا ميسوراً ، ومكنا للحضارة العربية سبيل النمو والتطور ، فقد كان اتصالها بالحضارة اليونانية والفارسية مدعاةً لتقدمها وازدهارها ، وكان ان ظهرت من هذا الامتزاج الحرّ بين الثقافات نزعاتٌ واتجاهات متعددة في الثقافة الاسلامية ، ادت الى اختلافات بعيدة المدى والى بلبلة وحيرة في الافكار خطيرة . ودراسة هذا التطور امر عظيم الاهمية بالنسبة الى التربية ، وسنتناوله بالبحث في الفصل القادم .

مُقوِّمَاتُ الثقافةِ العَرَبيّةِ الإسْلاميّةِ

لقد ثبت ان روح الاسلام تعلو على الفوارق السياسية والثقافية والعنصرية ، وانه جاء يحض على طلب العلم ويشجع على البحث والتفكير . فقد جاء في الحديث :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » و « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » و « اطلبوا العلم ولو في الصين » و « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع وان العالم ليستغفر له من في السموات حتى الحيتان في الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . من تعلم باباً من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله أجر سبعين نبياً » .

تلك هي بعض المواعظ التي تبين موقف الاسلام من التربية والتعليم. فليس بدعاً اذن أن يكون اتصال الثقافة العربية

بالثقافات الاخرى اتصالا حراً ، لا تقيده قيود ولا تعوقه عوائق ، وقد كان اتصالها بالحضارة اليونانية من أغنى تلك الاتصالات واكثرها ثمرة . كان العالم الاسلامي أيام الدولة العباسية (٧٥٠ – ١٢٥٨ م) في موقف يشبه من بعض الوجوه موقفه في الوقت الحاضر ، اذ كان المسلمون اذ ذاك على صلة بالحركات الفكرية والآراء العلمية وكانت المشكلة التي تلاقيهم هي ان يجددوا تفسير عقائدهم الدينية ويبحثوا فيها بما يتسق ومطاليب العلوم العصرية اذ ذاك . وقد كان في دينهم كما رأينا ما يحضهم على طلب العلم ففتحوا قلوبهم واذهانهم للمعرفة يستزيدون منها وينمونها فكان ذلك مما يساعدهم على إخصاب حضارتهم بحضارات الامم الاخرى . ولقد ساعدت على توثيق الصلة بالحضارة اليونانية حركةُ الترجمة الواسعة التي كان المأمون يتعهدها ، فهو الذي أسس (دار الحكمة) في بغداد ، فكانت الآثار اليونانية تدرس فيها وتترجم الى أقصى حدود النشاط . وكان بين الآثار التي نقلت الى العربية عدا كتب الطب والرياضيات ، أمهات الكتب اليونانية لافلاطون وارسطاليس وهي : الجمهورية ، والقوانين ، وطيماوس Timaeus لافلاطون . والمقولاتُ Catogoria وعلم الطبيعة Physics وعلمُ الاخلاقِ الكبير (Magna Moralia) وما بعد الطبيعة (Metaphysics) والنفسُ (De Anima) والكونُ والفساد (Generatione and Corruptione) لأرسطاطاليس . وقد أعقب حركةَ الترجمة تلك ، حركةُ تأليف وانتاج

مبتكر جديد ، فلم يقتصر العرب على نقل الاثار القديمة حسْبُ ، بل قاموا بدراستها ونقدها واضافوا اليها اشياء من لدنهم فجعلوها ملائمة لاغراضهم ولطرائق التفكير عندهم .

وكانت تلك الاثار المترجمة وما تأثروا به من الافلاطونية الجديدة باعثاً على حركة في الاتجاه الفلسفي ، فظهر بين المسلمين من العرب وغير العرب فلاسفة مبرزون امثال الكندي والفارابي (كانوا يسمونه ارسطاليس الثاني) وابن سينا وابن رشد[1] .

يؤلف هؤلاء الفلاسفةُ اعظمَ فئةٍ في تاريخ الثقافة الاسلامية ، فهم الذين تناولوا آثار ارسطاليس التي جاءت للمسلمين عن طريق السريان بالتمحيص واعادوا النظر فيها بمقابلتها بنصوصها اليونانية الاصلية فأدخلوا عليها اصلاحات وقاموا باستنتاجات خاصة بهم حذوا فيها حذو شراح الافلاطونية الجديدة (Neo - Platonism) .

وليس ضروريا لاغراض هذه الرسالة ان نستقصي ما تركه الفكر اليوناني في الثقافة الاسلامية من آثار ، وانما نكتفي بالاشارة اليها اجمالاً فنقول إن اول تلك الآثار ما تركه في بعض الاوساط من دعوة الى المثل الاغريقي في التربية الذي يستهدف تثقيف العقل تمييزاً من المثل الذي يستهدف تربية العاطفة الدينية .

---

(1) O'Leary, DeLacy, Arabic Thought & its Place in History (New York, 1922) p. 136

وثاني تلك الآثار ما أدت اليه ترجمة الكتب اليونانية من ظهور نظريات في وحدة الوجود وآراء إلحادية تتعلق بانكار امكان معرفة وجود الخالق (اللا أدرية) . وتلك آراء ينكرها رجالُ الدين أشد الانكار لانها تخالف ما يؤمنون به من ان تعاليم الاسلام مستمدةٌ من الوحي المنزل وممثلةٌ لارادة الله وانها يراد بها هدي الناس في سلوكهم .

وقـــد كان من الطبيعي ان يناهض هؤلاء تلك الآراء الالحادية ، فظهرت آراؤهم في ذلك . ولم يفتهم ان يستفيدوا من الآراء اليونانية ويتأثروا بها ، وان كانوا لم يشاركوهم في اقتفاء المزاج الفلسفي لليونان وفي اعتناق نظرتهم للحياة . وقد كان من أهم ما يحض عليه هؤلاء المتمسكون بالسنة والتقاليد المستتبة المألوفة احتذاء التعاليم وفق نمط واحد في التفكير والسلوك ، وإن تباعدت مذاهبهم واختلفوا في امور كثيرة منها . ومن ذلك اختلافهم في القرآن أهو أزليّ غير مخلوق كما يقول به الحنابلة خاصة ، أم هو مخلوق كما يرى المعتزلة . وربما كان لهذا الخلاف صلة بعقيـــدة اليونانيين بما يسمونه (Logos) .

ونكتفي بالاشارة هنا الى نشأة علم الكلام ، وهو يقابل طريقة المدرسيين (Scholasticism) في القرون الوسطى في اوروبا من استعمال الجدل المنطقي للدفاع عن العقائد المستتبة ودفع (الهرطقة) .

ومن المؤسف حقاً ان هذه الخلافات لم تقف عند حدود

المناظرة الفكرية البحتة . فقد اظهر المعتزلة كثيراً من الحرج وضيق الصدر وعدم التسامح على خصومهم فاضطهدوهم حتى جلبوا على انفسهم عداء الرأي العام مما ادى الى القضاء على حركتهم نفسها .

وقد ظهر التشريع الاسلامي (الفقه) أثراً من هذه الدعوة الى اتفاق شامل في العقائد . واصول هذا التشريع مصادر دينية تبدو في الوحي المنزل كما تتمثل في القرآن الكريم وفي السنة (وهي اقوال النبي « ص » وأعماله) ومصادر دنيوية وهي الاجماع والقياس المراد به الحكمُ في امور جديدة قياساً على المصادر السابقة وحكمها في امور مشابهة . اما الاجتهاد أي الرأي الفردي فأنه وان كان معترفاً به كمصدر خامس ، لم يرتفع بالأهمية الى درجة الاصول الأربعة الاولى ، غير انه سبيل الى زيادة اهمية المصادر الدنيوية في التشريع الأسلامي مما يؤدي الى التجدد والتقدم فيه .

وقد انصرفت الجهود ردحاً من الزمن الى تنظيم مواد ذلك التشريع وتبويبها ، وظهرت عدة أسانيد في ذلك ، ومنها الكتب الستة المأثورة في الحديث والسنة .

وقد انتظم الفقه الاسلامي في ثلاثة اقسام متميزة : — (١) القواعد المتعلقة بالفروض والعبادات ، (٢) القواعد المتعلقة بالعقود المدنية والشرعية ، (٣) الحدود . وقد سهل هذا التنظيم للاجيال المتعاقبة أن تقف على أحكام القرآن

وتعاليم الدين . وظل رجال الشرع الاسلامي قروناً عديدة يتولون النظر في امور البيع والشراء والعقود وتقسيم المواريث وما الى ذلك . ولكن هذه الامور صارت في الوقت الحاضر من اختصاص المحاكم المدنية ، وبقي للمحاكم الشرعية القضايا المتعلقة بالاحوال الشخصية من الزواج والطلاق وما يماثل ذلك .

وظهرت فلسفة التصوف رجعةً لرد فعل آخر للافكار اليونانية . والصوفيةُ حركةٌ روحية ذاتُ أثر كبير في الفكر والدين الاسلامي ، ويرى اصحابها بها ان من الممكن ادراك الخالق وذلك في حالات التجلي الروحي (التي يصل اليها الصوفي بعد رياضة وتدريب) . وتعاليم الصوفية منصرفة الى الاحاطة بالخالق الممكنة معرفته (Knowable God) وهو ما يسميه الفلاسفة بالعقل الفعال (Agent Intellect or Logos) . على ان آراءهم تأثرت بالفلسفة الهندية فجرت مجراها من تأكيد وحدة الوجود ، وفلسفتهم تفرض وجود صلة بين النفس الانسانية والخالق . وقد استتبعَ انصرافُهم الى الجانب الفلسفي من الحياة ان اتخذوا موقف التراخي وعدم المبالاة فيما يخص بالشؤون العملية مما يعارض بصورة مقصودة او عرضية ما تتطلبه التعاليم الدينية اليقينية وما هو مقرر من الشعائر . وانتشرت الدعوة في بعض الاوساط الصوفية الى أخوة حقة تجمع بين المسلمين وغير المسلمين ، وكان اصحابها يقررون ان جميع الاديان المعروفة ما هي إلا ذرائع للوصول الى الله . وفي هذا تختلف الصوفية ، وشأنُها شأنُ جميع المذاهب

الداعية لاتصال مستديم بالله ، وما تؤكده تعاليمُ السنة في الاسلام . ومما قاله أحد أئمة المتصوفة وهو أبو سعد بن أبي الخير الفارسي ما معناه[1] : « لا يمكن ان نعمل عملنا المقدس ما لم تُقوّض جميع المساجد القائمة على الارض . ولا يظهر الاسلام الحق حتى يكون الايمان والالحاد واحداً » .

وتتفق الفلسفة والصوفية في ميلهما الى تقرير الحرية الفردية في شؤون العقيدة والسلوك . وتصطبغ بعض تعاليم الاسماعيلية وهي فرع من المذهب الشيعي بصبغة فلسفية . ولهم آراء معقدة في أصل التكوين منها ان التكوين جاء في سبع خطوات : (١) الله (٢) العقل الشامل (٣) الروح الشامل (٤) المادة الاولى (٥) المكان (٦) الزمان (٧) العالم الارضي .

ومن أهم آراء الاسماعيلية ما يدور حول تفسير القرآن تفسيراً تتضح بنتيجته المعاني الباطنية فيه ، وهذا لايتهيأ إلا للخاصة . وهم في هذا التفسير لا يكتفون بالوقوف عند المعاني الظاهرة الحرفية وانما يحاولون التوصل الى تلك المعاني الباطنية واهتمام دعاتهم بنشر الفلسفة والعلوم لا يختلف عن شدة اهتمامهم بالدعوة لآل البيت وحقهم في الخلافة .

« ان كلاً من اللاأدرية ووحدة الوجود قد انطوت عليه الافلاطونية الجديدة المتأخرة اللاأدرية حول العلة الاولى

---

(1)Nicholson R. A; Mystics of Islam, London, 1941, p. 90

(First Cause) التي لا يمكن معرفتها والرأي القائل بان الله انما هو فيض من تلك العلة الاولى . وهذه عقيدة تطورت على ايدي الفلاسفة والاسماعيلية (والنحل المتصلة بها فيما بعد) »

والصوفية والاسماعيلية كلتاهما تصوران بصورة طريفة كيف امتزجت الافكار اليونانية بالآراء الاسلامية . ويتضح لمن يدرسها كيف اعتمدتا على الافلاطونية الجديدة في نظرياتها التفسيرية .

وظهر للاسماعيلية فرع ثوري وجد في (قرمط) ، المتحمس الثائر رئيساً له . نشأ قرمط هذا من الفلاحين في العراق وبدأ حملة دعاية نشيطة بين السواد من الناس ولا سيما الفلاحين وأصحاب المهن . وأساس هذه الحركة جمعية سرية تجري على نظام شيوعي كان على المنتسبين اليها ان يمروا في طور تهيأة وتدريب قبل ان يلتحقوا بالجماعة . وقد وصل بقرمط الغلوّ أن دعا الى شيوع الزوجات فضلاً عن شيوع الملكية . واستحدث القرامطة منظومةً تحتوي تعاليم دينية مُستمَدّة من القرآن وادعوا لها انها تلائم جميع الاديان والاقوام والمذاهب . وكانوا يؤكدون في دعوتهم مبادىء التسامح والمساواة ، وقد نجحوا فى ضم العمال واصحاب المهن في نقابات .

غير ان هذه الحركة ونزعات الثورة فيها ما لبثت ان تطورت الى حد وصفها فيه الدكتور فيليب حتي بانها « نمو خطر في الجسم السياسي للاسلام » وقام اتباعها بحروب فظيعة

قاوموا فيها النظام الراهن والدين المستتب فهي لذلك ثورة على السلطة المتعسفة كما يقره النظام غير المرن الذي يلتمس سنداً في الدين .

وهكذا يأتي من مصدر واحـــد للثقافة تسامح وحرج ، حرية وعسف . وظهر بنتيجة هذا التوسع والتطور في الثقافة الاسلامية مذهبان للحياة – يعتمد أحدهما على الدين ويدعو الى مراعاة تعاليمه مراعاة دقيقـــة (باستثناء الصوفية وما يجري مجراها) ويضع الاخر اعتماده على العقل كما كان يفعل الاغريق .

أما أثر ذلك في التربية فنشأة مدارس تسودهـــا العلوم الدينية من ناحية ومدارس تجري عـــلى المثال المقتدى به (الكلاسيكي) في التربية من ناحية ثانية .

أما المدارس الاخيرة فكانت من نصيب الطبقات الموسرة الغنية . وكان نظامها يرمي الى تهذيب النفس بتعليم آداب السيادة والشرف واستكمال العادات التي تلازم الاناقة في العيش والراحة الرخيـــة فيه ، والى تهذيب العقل بدراسة فروع المعرفة المأثورة واتقانها كما كان يفعل اليونان من قبل . ولعـــل هذا المذهب مسؤول الى حد ما عن نشوء بعض الحركات الثقافية كحركة الترجمة وتأسيس المكاتب ودور العلم الكبيرة . ولعله مسؤول أيضاً عن انتشار حياة الترف والرخاء التي ينعم بها الخلفـــاء والحكام والسراة والاغنياء عموماً ، وعما في قصورهم من مظاهر البذخ والاسراف من

امتلاك الجواري والقينات والرقيق من الخدم والمباهاة في اقتناء النفيس النادر من الاثاث والحاجات . ومما يمثل هذا النظام أيضاً الالعاب الارستقراطية من الصيد والطرد والسباق وأمثالها .

ويمكن القول إن النزاع بين هذين المذهبين – مذهب الدين ومذهب العقل – إنما هو في الحقيقة نزاع على الاصل في المقاييس الاخلاقية والروحية . ويبدو أن في الثقافة الاسلامية ما يعضد كلاً من المذهبين ، بل هي – كما يظهر – تسند الرأي القائل بأن المقاييس الاخلاقية والروحية انما تنشأ من تجارب الشخص في معيشته الاعتيادية أيضاً . ومما يؤكد قولنا هذا ما هو معروف من أن الدين الاسلامي يحض على الاعتماد على النفس في ملاقاة طوارىء الحياة وحل مشاكلها . وقد كان للعرب نزعة للبحث والتحري العلمي ليست تعتمد على الدين ولا على محض التأمل العقلي .

ولعل في الحديث النبوي الآتي ما يدل على حكم الدين في هذا الامر : فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يلقحون النخل فسألهم عما يفعلون فأخبروه فأشار عليهم بالكف عن هذه الطريقة ظناً منه انهم يستطيعون الحصول على بغيتهم بغير هذا الصنيع . ولما تبين للرسول فيما بعد ان الصواب في طريقتهم الاولى دعاهم الى العودة اليها قائلا : « انتم اعلم بامور دنياكم » .

وفي اعتقاد المسلمين أن عهد النبوة قد انتهى بوفاة

النبي محمد (ص) ما يساعد على زيادة أثر الجانب الدنيوي في الثقافة الاسلامية . ومهما يكن الامر فمما لا شك فيه ان تقدم العلم في الثقافة العربية – الاسلامية يدل بصورة واضحة على شدة الاهتمام بالتجارب الواقعية المحسوسة وبالاعتماد على طرق الملاحظة الدقيقة ، وما تستتبعه من الركون للحواس في تسجيل الحوادث عن طريق الاستقراء العلمي والطرق التجريبية العلمية تميزاً لذلك من الاعتقاد والآراء التي تعتمد على تسليم ما تقرره السلطات من دون سند ولا برهان .

وقد زاد العرب في دراسة الكيمياء وعلوم الطبيعة الطريقة التجريبية . وتلك خطوة كبيرة بالنسبة لما اقتصر عليه اليونان من التأمل الفلسفي المجرد وحده . ومما قام به علماء الطبيعة بينهم العملية الدقيقة في حساب الارض التي أرادوا بها أن يقيسوا طول درجة أرضية .

وكانت غايتهم القصوى أن يجدوا حجم الارض وطول محيطها من حيث هي كروية . فظهر من نتيجة قياسهم الذي قاسوه في سهل الفرات الشمالي مرة وبالقرب من تدمر مرة ثانية أن طول الدرجة من خطوط الطول ٥٦ ميلا وثلثي الميل وهي نتيجة تدل على تدقيق فائق ولا تزيد على الطول الحقيقي للدرجة في ذلك المكان بسوى ٢٨٧٧ قدماً [1] . وبرهن البتاني أحد علماء العرب في الفلك إمكان كسوفات الشمس السنوية ، وضبط ميلانَ مدارِ الشمس الظاهري

(1)Hitti ; op. cit, p, 375.

بصورة دقيقة جداً . وحدد ايضاً طول السنة الاستوائية وطول الفصول وعين مدارَ الشمس الحقيقي والاوسط .

وادت البحوث التي قام بها الخيام ومعاونوه الى وضع تقويم باسم (الجلالي) نسبة الى جلال الدولة ملك شاه السلجوقي ، فانه كان يرعى الخيام ويشجعه في بحثه . وهو تقويم اكثر تدقيقاً من التقويم « الغريغوري » المعروف . فان في هذا خطأ يصل الى يوم واحد في كل ٣٣٣٠ سنة على حين أن الخطأ في تقويم الخيام لا يتعدى على ما يظهر يوماً واحداً في كل ٥٠٠٠ سنة .

على أن فوائد العلوم وخدماتها لم تكن مقصورةً على رجال العلم وحدهم . بل لقد استثمرت نتائجها في ميادين الزراعة والصناعة والصحة والتجارة والملاحة . وكان من الطبيعي أن تفتح مكتشفات العلوم وتطبيقاتها آفاقاً جديدة ، وأن تؤدي الى تقدير أهمية التجارب العلمية المحدودة في الحياة ، والى الثقة بالمعرفة المتمحصة والمعيشة المتأتية عن التجربة والقياس دون المعرفة غير المستندة الى الاختبار والامتحان . وقد أخذت المعايير المبنية على أساس التجربة والاختبار تحتل تدريجاً مكان تلك المعايير التي تفرضها السلطات المتحكمة .

ويتضح من هذا أن العرب كانوا رائدين في نشر الروح والطرق العلمية وتثبيتها . ولعل ما أسلفنا من الحقائق في هذا الشأن يعيننا في فهم ما يقصده باحث بارز حين كتب :

« ليس العـــلم مديناً للعرب باستكشافات مدهشة لنظريات خطيرة حسب بل هو مدين لهم باكثرَ من هذا ، بوجوده ذاته. فلم يكن العالم القديم كما رأينا قـــد وصل بعد الى الحال العلمية كما نفهمه الآن . والذي كان لدى اليونان من الفلك والرياضيات ما هو إلا بضاعة استوردوها من امم اخرى ولم يتمّ استيعابهم لها وتمثلهم إياها . لقـد نظّموا حقاً ما كان بين ايديهم من معارف واستنتجوا منهـــا تعميمات وبنوا نظريات ، ولكن الاستقصاءَ وما يتطلبـه من دأب وصبر واكتشاف لحقـــائق جديدة وجمع لمعرفة ايجابية ، والطرق العلمية الدقيقة وما تستتبعه من مشاهدة وبحث تجربي متصل مستمر – كلّ ذلك غريب عن طبـع الاغريق ومزاجهم . واذا استثنينا الاسكندرية وفيهـــا ظهرت (وهي تستظل بالحضارة اليونانية) عدةُ محاولات للبحث العلمي فالعالم القديم خلو من ذلك النمط من البحوث . أما ما نفهمه نحن من العلم فقد ظهر في اوربا أثراً من روح للبحث جـديدة ومن طُرُق في الاستقصاء جديدة أيضاً ، طرقِ التجربة والملاحظة والقياس واستعمال الرياضيات في وضعٍ لم يعرفه الاغريق . وتلك الروح وتلك الطرق كان العرب هم الذين ادخلوها الى اوربا[1] . »

وانتشار العلوم وسريانُ الثقافة بين طبقات متعددة امرٌ

(1)Briffault, Robert, Making of Humanity, as quoted by M. Igbal, Religious Thought In Islam.Oxford University Press, 1934 p. 124.

زاد في انصراف كثيرين الى طلب شؤون العيش وفي اقبالهم على الدنيا . وما أفادته التجارة والصناعة والزراعة من تطور أتاها عن طريق العلم عامل مهم في تقوية الاتجاه العلمي في الحياة وزيادة أهميته . فان من يمارس هذه المهن قمين بان يعلم ان المقاييس الاخلاقية إنما تستمد من ضرورات الحياة العملية أكثر من استمدادها من مجرد الايمان المطلق أو من تلك المقاييس المقتدى بها التي تؤكد في الهدف الفردي لتهذيب النفس وتربيتها (وتلك نتيجة يدعو لها العلم أيضاً) . فهي في الحقيقة مقاييس وضعت بعد التجربة والاختبار الى حد كبير . وما زادت أهمية التجار وأصحاب الحرف والزراع والصيارفة والصناع إلا وعم الاعتقاد أن شؤون الحياة العملية نفسها ذات قيم روحية جمة .

ومن الحق أن نقرر أن هذا التطور الذي أدت اليه العلوم لم تكن أهميته وتقدير أثره أموراً واضحة اذ ذاك بل لا تكون واضحة حتى في العصر الحاضر . فان الرأي الذي يقضي بان الامور الدنيوية كما تمثلها العلوم والمهن المختلفة يمكن أن تكون أساساً للقول بان المقاييس الفكرية والاخلاقية والروحية مقاييس وضعها الانسان نفسه وأن قيمة هذه المقاييس إنما تقدر بكونها وسائل في التصرف والتحكم بتجارب الحياة رأي على جانب كبير من الأهمية لأنه يعطي الامور الدنيوية مكانة يجعل منها مذهباً مستقلا في

الحياة ، ينافس المذهب القائم على الدين والمذهب القائم على العقل . ومهما كان ما ينطوي عليه هذا الرأي من خطورة وأهمية مجهولا (فنتائجه لم تكن مفهومة بوجه عام في السابق) فمما لا شك فيه أن العامل الدنيوي ترك أثراً كبيراً في الثقافة الاسلامية .

هذه العناصر المكونة للثقافة العربية الاسلامية من مُثُل دينية وعقلية وعلمية وعملية لم تكن قط منعزلة بعضها عن البعض وإنما كانت مجتمعة في مزيج واحد ، وكان الاساس الذي قامت عليه هذه الثقافة أساساً مرناً قابلا لان تنشأ فوقه نزعاتٌ متعددة على أن يضمها هيكل واحد ويحملها بنيان فرد .

فواجبنا إذن أن ندرس صلات هذه الوجهات المختلفة بالقيم الاساسية ليتهيأ لنا ان نحدد أثر هذه الصلات في مشكلة التربية .

التباين والتصادم
في مقومات الثقافة العربية الاسلامية

ذكرنا في الفصل السابق ان الثقافة الاسلامية كانت رحبة الصدر في قبول نزعات متباينة واهواء مختلفة ، فضمت بين احضانها وجهات العبادة والتدين والتأمل الفلسفي والبحث العلمي كما ضمت الوجهة العملية في الحياة . وما لبثت هذه النزعات ان تطورت مع مرور الزمن الى طرائق في العيش مختلفة والى فلسفات في الحياة متضاربة ، لكل منها صلة بالثقافة العامة التي نهضت فوقها وتفرعت عنها . وبين هذه الطرائق المختلفة ثلاثة انماط ذات اهمية خاصة .

فأما النمط الاول فهو اثر للانصراف الى امور العبادة والتعلق بشؤون الحياة الاخرى ، واساسه التسليم المطلق ودراسة العقائد الدينية على الطريقة الكلاسيكية . وان يكن قد لجأ الى التأمل الفلسفي ، فذلك ليتخذ من الفلسفة اليونانية وسيلة تدعم آراءه وتقيمها على اساس منطقي . وهو يفرض

وجود حقيقة ثابتة غير قابلة للتغيير والتبديل ، لأن التغير وما يدل عليه من نقص وعدم استقرار لا يصور هذه الحقيقة الثابتة اصدق تصوير . وما دام الدين قد نزل وصفاً لهـذه الحقيقة وتقريراً لها ، فكل ضروب الالحاد والهرطقة امور لا يجوز التسامح بها والاغضاء عنها . ومما يتطلبه هذا النمط من التفكير التسليمُ المطلق بمـا تفرضه السلطة الدينيـة والانكار الخالص لكل مظاهر الشك بهـا او التمحيص لمقرراتها .

أما النمط الثاني فقـد اتى من تأكيد أهمية العقل والاستدلال ، فهو لا يعتمد على التسليم المطلق كسابقـه ، وليس هو دعوة اجتماعية تقصد الى إيجاد نظام اجتماعي تكون فيه الحياة العملية الاعتيادية غنية وافرة بما تحويه من وسائل النمو الفكري والاخلاقي والجمالي غنى يأتي عن طريق معاناة تلك الحياة العملية نفسها وممارسة اسبابها . وانما كان دعوة فردية غايتها تنمية العقل وتثقيفه لذات تلك التنمية والتثقيف. فالعقل ميزة الانساني الاولى وذخيرته التي يعتز بها ويفخر ، وهو مقر المعرفة ومصدر الفضائل ، وهـذا خطل في التفكير أتى من تلك الثنائيـة التي تفصل بين العقل والحواس ، وهي ثنائية لها ما يقابلها ، في الناحيـة العملية التطبيقية ، في تلك الثنائية الاخرى التي تفصل بين الاعمال والمهارات اليدوية وبين المهن والحرف العليا .

هـذا النمط من التفكير ينزع من المرء الاعتيادي كل

حق وقدرة في فض المشاكل الاخلاقية والرأي فيها ، كأن هذه ملك خالص لفئة « المفكرين » يقررون فيها القيم ويرسمون بينها المعالم والحدود . ولا تزال الدعوة لهذا المثل قائمة في الغرب فهناك تأكيد على ترقية مدارك الفرد واستعداداته بصورة منسجمة وهو مثل ارستقراطي في اصله .

أما النمط الثالث فيعبر عن روح الاسلام في اساسه . ويدعو الى اخوة انسانية عامة . وهو نمط دنيوي « مدني » يقصد به الانصراف الى ايجاد نظام اجتماعي تنتظم به الحياة التعاونية ابتغاء خلق اكبر فرصة وأوسع مجال لنمو فكري خلقي جمالي مستمر تغنى به الحياة الاعتيادية وتثمر .

لم يكن هذا المثال الثالث للعيش ، واضحاً بيّن المعالم والسمات كالمثالين الاولين ولكنه ، لا شك ، مذهبٌ يدعو الى العدل والمساواة بين الجميع أمام القانون ، بل انه دعوة الى تكافؤ الفرص أيضاً . وقد يظن ان « الاخوة » المشار اليها تقتصر على المسلمين وحدهم ، ولكن من ينظر الى ما يقرره الاسلام من انسانية شاملة يعلم انها اخوة تضم كافة الناس بدون اعتبار لاختلاف الاديان والاجناس .

وننتهي من كل هذا الى ان الثقافة الاسلامية العامة وما نشأ عنها من فروع ووجهات خاصة ، مزيج وافر واسع يضم كثيراً من العرف والتقاليد والعادات والاتجاهات ، التي لم يكتب لها ان تنسجم انسجاماً تاماً كاملاً ، وخاصة في دنيا

كثيرة التغيرات والتقلبات ، كما هي الحال في عصرنا الحديث . فالحاجة شديدة الى تجديد تفسير تلك المذاهب المختلفة والى توحيدها . وفي حال العالم اليوم ما يدعونا الى ان نجعل مثلنا العليا واضحة معلومة وإلا تعرضنا لخطر فقدانها . وهذا عمل يجب ان تضطلع به التربية ، إذ على الجيل الجديد ان يقف على النقائص ونواحي التناقض في ثقافتنا كخطوة تمهيدية لتجديد تفسيرها وتوجيهها . وهذا التفسير الجديد ، الذي ندعو اليه في هذه الرسالة ، يجب ان يقوم على اساس من « روح الاسلام » الاصيل لا على ما لحق به من مبادىء وطقوس وتقاليد ، كانت سبباً في غموض تلك الروح وطمسها . فعلينا ان نتناول الثقافة الاسلامية بالتقييم والتمحيص المستمرين والنقد المميز على اساس من تلك الروح ، لتخلص من البلبلة والاضطراب ولتغير مظاهرها البالية ، وتجدد عناصرها الحية ذات الصلة بكل ما هو سبب لتحسين الاحوال الحاضرة — كل ذلك مع المحافظة على استمرار العرف القويم فيه وتأكيده وتوضيحه . وروح الاسلام هذه مطابقة لروح الديمقراطية ولذلك المثل من الكفاية والصلاح الاجتماعي الذي تدعو له . ومما زاد في اختلال التوازن في الثقافة الاسلامية في السنوات الاخيرة ، ظهور النزعات المدنية الحديثة . ففي العراق الحاضر ، مثلاً ، نزاع بين رجال الدين — وهم يحاولون فرض المعايير التي تتعلق بالشؤون الدينية وما يتصل بالحياة الاخرى معتمدين في دعوتهم على القرآن الكريم وما جاء في السنة

وجرى به العرف والتقـــاليد - وبين الدولة والطبقات المثقفة الممثلة لوجهة النظر المدنية . ويكاد الفرق بين المذهبين يتصل بكل مناحي الحياة . ولكنه اظهر ما يكون في الامور التي تتعلق بالتربية والتعليم وبالحرية وبالموقف من المرأة وحرية الاعتقاد الشخصي والتفكير وفي امور اخرى تتعلق بالزواج والطلاق وتقسيم المواريث وما الى ذلك .

على ان بعض هذه الامور قـــد أصبح من اختصاص الدولة ودخل في نطاق حقها في التشريـــع فاكتسب بذلك سنداً من سلطتها حتى عدّ تدخل رجال الدين فيه خاصة في الشؤون التي تتصل بالتعليم العام تعدياً عـــلى وظائف الدولة ومسئولياتها .

ونشأ خلاف جديد تنسع شقته يوماً بعد يوم بين الحركة القومية كدعوة اجتماعية مدنية ، تسندها الدولة وتشايعهـــا الطبقة المثقفة ، وترمي الى إدخال الافكار الغربية ومظاهر الاصلاح فيها ، وبين العناصر الرجعية من السكان ، يسندهم رجال الدين المحافظون ، وهم يرمون الى إبقاء الوضع القائم كما هو عليه . وغالبية السكان عـــلى علم بهذه الخلافات وبتضارب وجهات النظر والتفكير بين الفريقين . واذ كان رجال الدين الصق بهم يؤثرون فيهم بصورة مباشرة ، تأثيراً لا يتهيأ مثله لرجال الدولة ، كانوا - اي غالبية السكان - يشايعون حتما حزب الرجعية والمحافظة .

أما المدارس ، والمفروض فيها أن تتولى أمر توضيـــح

تلك البلبلة التي من وراء هذا النزاع ، فتتملص من مجابهة المشكلة ملتفتة الى ما يبدو أنه اكثر أهميـــة – تحصيل المعلومات وتنمية العقل !

يخضع العراق الآن لعملية تمتزج فيها الحضارة الاسلامية بالحضارة الغربية ، ويجابه أهلهُ مشاكل كثيرة تدعو الى حل حاسم صحيح . فانتشار الافكار والاوضاع الحديثة واستبدالها بالقديمة ، وما يتبع ذلك من نزاع في الولاء بين القِيَم القديمة والقيم الجديدة ، لا بعدو ان يترك كثـــيراً من القلق والاضطراب قد يصل أحياناً الى اليأس والقنوط . وعـلى السكان ان يحيطوا بما هو قائم بينهم ، ليفهموه عـلى وجهه الصحيح فيتهيأ لهم ان يجابهوا الموقف بما يحتـــاج اليه من الادراك والدراية .

ولا شك في ان ما عليه ثقـــافتهم من اختـــلال التوازن والارتبـــاك ، يجعـل مشكلتهم مشكلةَ اختيـــار وتفضيل بين القيم المختلفة ، وقبول وجهـــات وغايات في الحياة جديدة . فهم في أشد الحاجـة الى أن يفهموا طبيعة القيم الجديدة – تلك القيم الملائمة للحياة الصالحة للعراق في حاله الحاضر والوافية بحاجاته الاساسية . وهذا التحليل انما ينتهي بنا الى أن المشكلة ، مشكلة اخلاقية حقة . فان اختيار ما يرضون من قيم ورفض ما ينكرونه منها ، وتقرير من يتولى شأن الاختيار والرفض وتحمل ما يستتبعُ ذلك من مسئوليات وعواقب ، امور اخـــلاقية الى حد كبير .

وسيجدون في الديمقراطيـــة من حيث مفهومُها كفلسفة في الحياة أو مبدأ أساسي اعلى ينطوي عـلى مقاييس او معايير خاصة يُركن اليها في فض المشاكل ، ما يحتاجون اليه من هدي أخلاقي وارشاد .

وما دام التوجيه مستمداً من هذا المثل الاعلى الاجتماعي ، فالنزاع لا شك مفضٍ الى حل – ويمكن القول إن كل ما من شأنه تنمية الحياة الديمقراطية ونشر طريقتها في العيش ، فهو صحيح وسليم ، وان كل ما اعاق هـــذا النمو فهو رديء وضار . والولاء لروح الاسلام يستدعي ان أي خلاف أو نزاع يدور حول أمور العيش فانمـــا طريق الحكم فيه النظرُ في صلاحـــه لتحسين أمور العيش نفسها دون التقيد بمعايير أخرى بعيدة عن الحياة العملية خارجة عنها . فالتلقيح واضرابات العمال وتصفيتها بصورة اجتماعيـة عادلة ، وتكافؤ الفرص للتقدم بين الرجال والنساء ومئات من هذه المشاكل كلها أمور يجب ان يكون المحك في حسمها الدراسة الرشيدة في اناة ودراية لجميع الظروف والاحوال المحيطة بها ، وتقرير الحل ليس عـلى أساس التوفيق الموقت بين المصالح المتضاربة بل بالاعتماد على مبدأ أعلى وعـلى أساس من اتصاله وأثره في تنمية الروح الاجتماعي الديمقراطي .

تطوّر في مفهوم المثل الأعلى للديمقراطية

لقد لاحظنا ما هي عليه الثقافة العربية الاسلامية من النقص وما تنطوي عليه من اتجاهات متضاربة تحتاج معها الى معيار قويم تركن اليه في فض هـذه المنازعات وفي التقريب بين الوجهات المختلفة . وهي وان كانت قد سلّمت دوماً ببعض الأهمية لشؤون الحياة العملية إلاّ انه تسليم لم يعُدْ — على وجه العموم — ان يُنزل تلك الشؤون العملية منزلة ثانوية . أما ما يتحكم في تصريف الناس وتوجيه حياتهم فمثل دينية تترفع عن امور الدنيـا وتتعلق بالآخرة ، أو مثل كلاسيكية تميل الى تمجيـد العقـل والعمل على تهذيبه .

ان تطور المثل الديموقراطي أتى في كثير من النواحي مساوقاً للتقدم العام في الحضارة الغربية . وما تاريخ الديمقراطية إلا كفاح الفرد لتحرير عقله من جميع انواع القيود ولشق طريقه في وجه ضروب العسف والطغيان كافـة . ومفهومها في البدء مفهوم سياسي اذ كانت غايتها المحافظة على الحقوق

السياسية وحمايتها ضد الطغيان . ويبدو ذلك جلياً في كل من « لائحة الحقوق الانكليزية » و« لائحة حقوق الانسان » في الثورة الفرنسية « ولائحة الاستقلال الاميركي ». فقد جاءت مؤكدةً حقوقَ الانسان الطبيعيـــة للحياة والحرية والسعي للسعادة .

فلم تكن الديمقراطية في الماضي ترمي إلا الى حمايـــة الفرد ضد جور الحكومات وطغيانها . ولكن هـذا المفهوم السياسي مفهوم ناقص لا يفي بمطالب الأوضاع الحديثة التي أخذت تفرض على الحكومات تدريجاً ضرورةَ توليهـا العمل لخير مواطنيها واسعادهم وجعل ذلك واجباً من أهم واجباتها ومسؤوليةً لا يسوغ التخلي عنها . وهـذه المسؤولية تقتضي فلسفة إيجابية فيما يخص التنظيم الاجتماعي . إذ انّ الحرية لم تعد تعني انعدام القيود . بل إنّ ما يحققها هو تهيئة وتوفير الفرص للنمو التام لكفايات الأفراد المختلفين .

وهذا هو مثل الديمقراطية الاعـلى في عصرنا الحديث ، المثل الذي يجعل من تهيئة الفرص وتكافؤهـا خلال التنظيم الاجتماعي أمراً لا تتم الحرية بدونه ولا تقوم إلا عليه . ولقد استتبع التجديد في مفهوم الحرية تجديداً في مفهوم الديمقراطية نفسها وجعل منها فلسفة قِيم تؤلف وجهة في الحياة متميزة .

ومما تحسن ملاحظته خاصةً هو أنّ هذا المثل الاعـــلى للديموقراطية الجديدة مثـــل مدني أي انه يستمد مقاييسه من التجربة والاختبار ويعتمد عليهما بقدر صلاحها لأن يكونا

وسائل مؤدية الى توثيق الصلات الاجتماعية وتنميتها مما يحقق التطور الاجتماعي العام . فهو لا يستقي مقاييسه من فرضيات غامضة عن تركيب الكون ، ولا من الافلاطونية أو غيرها ، بل من الواقع وحال الاشياء والناس فيه كيف يعملون ويتكيفون ليضمنوا حياة اجتماعية سعيدة . فالديمقراطية بمعاييرها الخاصة هذه قد اصبحت وجهةً في الحياة تميزها هذه النزعة الدنيوية - المدنية (Secular) التي تجد مجال تحقيقها في القومية أو الديمقراطية ، ومفهوم الديمقراطية فيها يتفق والتطور الذاتي للفرد خلال ممارسته للحياة العملية نفسها . فالديمقراطية على هذا مذهب اجتماعي يرمي الى ايجاد نظام اجتماعي يتهيأ فيه لكل فرد أقصى ما يمكن من الفرص التي تجعل من حياته الاعتيادية حياة غنية وافرة ، وتمكنه من التطور الفكري والاخلاقي والاجتماعي والجمالي خلال عمله الخاص وعن طريق نموه فيه غير متقيد إلا بتلك القيود التي تنشأ من ضرورات تحقيق تلك الغاية الشاملة .

والقول بان المقاييس الاخلاقية ليست إلا من عمل الانسان أمرٌ يؤكده العلم الحديث الذي يميل الى اعتبار الحقائق الفكرية نفسها من عمل الانسان ايضاً .

فأيما حكم أو قانون يقره العلم فهو صحيح ليس باعتباره وصفاً صادقاً لحقيقة ثابتة فيما وراء الطبيعة ، بل باعتباره حكماً يمكن الاعتماد عليه في استباق الحوادث والتنبؤ بها . وكلما أضيفت معلومات جديدة عادت الحقائق والقوانين

العلمية معرضة للتغيير والتبديل لتستطيع ان تشمل هـذه المعلومات الجديدة وتحسن تفسيرها . والمحك النهائي لكل ذلك هو السيطرة على الخبرات والقدرة على التحكم فيها . وكذا الحقائق الاخلاقيـة والاجتماعية فهي في صلتها بالمثل والنظم الاجتماعية يجب أن تكون قابلة للتغيير كلما جد في الاحوال المحيطة ما يستدعي ذلك التغيير .

وفيما يلي بعض المبـادىء الاساسية للديمقراطية والنتائج المترتبة عليها :

١ – انكار جميع ضروب الاستبداد ومقاومتها . وهـذا يعني انكار ورفض جميع القيم والامتيازات والحقوق الالـهية التي فرضت على الانسان كأنها متأتية من حقائق أزلية ثابتة .

٢ – تكافؤ الفرص في الميادين الاجتماعية والاقتصادية كما في الميادين السياسية .

أ – وهذا يعني حق المرء في التربية والتعليم وفي توفر أقصى ما يمكن من الاسباب لتطور ذكائه وشخصيته ليعـود مسؤولاً عن توجيه سلوكه .

ب – ويعني قيام مجتمع خالٍ من الطبقات وتنازعهـا وامتيازاتها مما يعوق نمو الفرد وتطوره .

ج – ويعني ايضاً اتخاذ الذرائع الايجابية ليتهيأ لكل فرد عمل مجدٍ نافعٌ ودرجة من الضمان المـادي والاقتصادي والاجتماعي .

٣ – الايمان بأهمية الامور الدنيوية تميزاً لهـا من العوالم والقوى الخارجة عن نطاق الخبرة الانسانية . وهذا يعني السعي

المتواصل لتحسين أحوال العيش وللعمل على تقدم مستمر غير محدود

٤ – الايمان بمعايير في القيم والاخلاق دنيوية تأتي وليدة حكم الانسان وتفكيره وتقديره بدلاً من معايير خارقة تتصل بما هو فوق الخبرة البشرية . أي انّ الانسان يجب ان يكون خالقاً لقيمه متحكماً بسلوكه وغاياته .

٥ – الاعتماد على طرق عملية (براجمتيكية) في تقدير الحقائق والمثل والغايات ، أي احتذاء مذهب الذرائع فيما ينص عليه من أنّ وظيفة التفكير انما هي في أن يكون وسيلة توجيه وارشاد للعمل والسلوك ، وانّ قيمة الحقائق انما تقدر بالنتائج العملية للاعتقاد بها . وهذا يعني إنكار التفكير المبني على مجرد التسليم أو على تعليلات ميتافيزيقية ، مع العلم بأن هذا المذهب لا يقلل من أهمية القيم الدينية ذات المكانة الخطيرة في الحياة .

٦ – اتخاذ وسائل المناقشة والشورى والاتفاق كلما أمكن ذلك ابتغاء إنماء وتوسيع نطاق المقاصد المشتركة وضمان التعاون لأجل تحقيق تلك المقاصد .

بعض النتائج التربوية
التي ينطوي عليها مفهوم الديمقراطية

يجب ان تكون المدرسة مؤسسة تمثل فيها الحياة الديمقراطية . ولانجاز ذلك يجب أن يتناول المدرسة

تغيير في النظام يرتفع بها من حال تكون غايتها فيه مجرد الدرس وكسب المعلومات الى مؤسسة تتحقق فيها الديمقراطية عن طريق مزاولة الحيـــاة الاجتماعية الواقعية والاعتماد على التجريب والاختبار .

وذلك التغيير في النظام يجب أن يكون منظوراً فيه الى تمكين المدرسة من تحمل تلك المسؤوليات وفقاً للمعايير والمبادىء الديمقراطية . وهذا يقتضي أن تكون جميـــع الفاعليات والانظمة المدرسية محققة لمبدأي التعاون وتطور الفرد الذاتي ، فيتسع فيها أوسع مجال لاشتراك الطلبة في الحكم والتوجيه الذاتي وفي تقديرهم لما ينجزون من اعمال ودراسات ، ويساهمون مـع مدرسيهم وبعضهم مع بعض في رسم الخطط وتقرير دراساتهم وفاعلياتهم والعابهم وفي سائر الأعمـــال والتجارب التي يمرون بها ، ليتوصلوا تدريجـــاً الى حال يكونون فيها احراراً في توجيـــه سلوكهم والتحكم به . ويجب أن تهيء لهم المدرسة الفرص ليعودوا قادرين عـلى الشعور والتحسس بحقوق الآخرين وسعادتهم وعـــلى مبادلة هؤلاء الآخرين العطف وعلى حل ما يطرأ بينهم من خلاف بطرق ديمقراطية .

وتحقيق ذلك يستدعي تغييراً تاماً في النظـــام يتناول الادارة والمناهـج ووضعها وطرق التدريس ، ويجري وفق المبادىء الديمقراطية لتتوفر جميـع الوسائل والفرص ابتغاء تطور الفرد من جميع نواحيه .

يجب أن تتناول المدرسة الديمقراطية والثقافة بالتحليل والتمحيص لتوضيحهما وازالة ما يحيط بهما من الغموض .

اذا كانت التربية حياة اجتماعية وكانت الحياة الاجتماعية في العصر الحاضر مبلبلة مضطربة فواجب المدرسة أن تتولاها بالتوضيح والتوجيه قبل أن يقبل عليها الجيل الجديد وينغمر فيها . وذلك واجب مهم تضطلع بـــه المدرسة لتزيل تلك البلبلة وذلك الاضطراب خلال تمحيص الثقافة وتقدير ميزاتها تمحيصاً يعمل على اصلاحها وتجديدها .

وعلى المدرسة في غربلتها هذه للثقافة ان تطرح عناصرها البالية غير المرغوب فيها وان تؤكد وتقوي عناصرها الصالحة الملائمة للمعايير الديمقراطية التي تنطوي على التعـاون والنمو التام للفرد . وعليها ان تتناول الديمقراطية بالدرس وتدعمها بالتفكير والتحليل والتفسير لتعود في مفهومها الجـــديد من حيث هي طريقة في العيش جديدة مفهومة مُقـــدّرة ينبعث اتباعها على الاعتزاز بها والدفاع عنها . نعم ، ان عليها ان تبعث الشعور بالقيم والاخلاق الديمقراطية تلك التي تُقدّر نتائجها وآثارها في السلوك والمعيشة الاجتماعية . وهـذا يعين على ادراك أهميـــة الطرق الديمقراطية في فض المنازعات والخلافات التي تنشأ من الاهواء المتضاربة للجماعات والمؤسسات

والافراد أو تلك التي تكون بين عناصر الثقافة الواحدة . فالديمقراطية بطريقتها في التمحيص والمناقشة والشورى وتحكيم رأي الاغلبية وبذلك القسطاس المستقيم في تقديرها للامور وفقاً لصلتها بمبدأيها الرئيسيين - التعاون والتطور التام للفرد - وسيلةٌ جد صالحة لفض ما يطرأ من منازعات أو ينشأ من خلافات .

الاهتمام بتجارب الطفل الحاضرة وحاجاته واولاعه الطبيعية كأساس لتقرير المناهج التربوية

لكي تحقق المدرسة ما تتطلبه الديمقراطية من تقدير قيمة الفرد ورعاية كرامته وشخصيته عليها ان تعامل كل طفل من حيث هو فرد مستقل بذاته ، وليس من حيث هو جزء من مجموع أو عضو في جماعة فحسب . وهذا يقتضي دراسة وافية لكل طفل فيما يخص اولاعه وحاجاته وقابلياته والاستفادة مع اعتبار الفروق الفردية من التجارب والاولاع والقابليات الحاضرة والماضية لتوفير البواعث وتيسير النمو الشخصي . وهذا يقضي أن تكون مناهج الاعمال المدرسية مبنية على اساس تلك الدراسات للاطفال ، محققة لغاياتها .

يجب ان تجعل المدرسة لاول تجعل من التربية تجديداً مستمراً للخبرات

مما يناقض التربية الديمقراطية أشد المناقضة طريقة التلقين

والاكراه على قبول الآراء والمعلومات (والمدرسة الحديثة يجب أن تكون على حذر من الوقوع في هذا الخطأ) وعليها أن تعمل على انماء روح البحث المستقل ، فتشجع الطلبة وتساعدهم على النظر في آرائهم الخاصة وعلى تفسيرها تفسيراً يصل بهم الى تكوين فلسفات ووجهات في الحياة خاصة يهتدي لها كل منهم مستقلاً عن الآخرين . وبذلك تكون قد أوجدت فيهم الصلابة والاصالة في الحكم والتفكير في حرية واستقلال ، وهي امور ضرورية للنمو المطرد والتجديد المستمر للخبرات .

والطالب الذي ليس له الا أن يؤمر فيطيع ويدعى فيلبي من دون تمحيص لطبيعة الأمر او الدعوة ولا تفكير أو تدقيق فيهما ، طالبٌ فاقد للفردية المميزة غيرُ جدير بالعمل في بناء النظام الاجتماعي الديمقراطي عاجزٌ عن التعاون في الحياة المجدية التي يتطلبها ذلك النظام .

ومن أهم ما تقتضيه الديمقراطية قدرةُ الفرد على الاستقلال فيما يصدر من احكام تتصل بغاياته في الحياة ، وفيما يختار ويراه صالحاً من وسائل ومعايير في القيم والاخلاق ليحقق بواسطتها تلك الغايات . وانما يبطل عملها ويلغي وجودها جميع صنوف الارغام والاكراه وفرض الآراء والتسليم بها عن طريق قوة السلطة أو التجويد في الدعاية والتلقين .

نظرة موجزة في احوال العراق وصلتها بالتربية والتعليم

عهد العراق بالنهضة الحديثة التي أدت به الى التحرر والاستقلال وجعله في طليعة الأقطار العربية الناهضة عهدٌ غير طويل ، لعله لا يرجع بالبعد الى نهاية القرن التاسع عشر . اذ كان قروناً طويلة جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، لم ينفصل عنها إلا إبان الحرب العظمى الاولى الماضية . وقد اسلفنا الاشارة الى ما كان عليه من حضارة أيام البابليين والاشوريين وعصور اقرب من تلك من ازدهار الحضارة العربية ـ الاسلامية في ربوعه ازدهاراً بوأه عهده الذهبي اللامع . إلا أن تلك الحال اسلمته من بعدُ الى حال غيرها كان يسوده فيها التقهقر والخراب والخمول قروناً بطولها .

وقد نقص عدد السكان فيه من نحو خمسة وعشرين مليوناً وصل اليها ابان الدولة العباسية الى قرابة ملايين ثلاثة ذلك بان ما سلم فيه من فتك سيوف ونيران جيوش المغول

الجرارة الآتية من أواسط آسيا ذهب به الجهل والمجاعات والأوبئة الفتاكة وتلك الفيضانات التي تغمر سهوله بها كلّ سنة دجلةُ والفرات . وقد كان ولا يزال له اعداء الداء هي : المرض ، والجهل ، والفقر .

أما الآثار المادية لتلك الحضارة فلم يبق منها سوى بضع أبنية وقنوات ومخلفات اذا استثنيناها عز على الباحث أن يجد ما يدل على أن تلك الربوع كانت معمورة زاهيةً بحضارة قلّ أن عرف لها التاريخ مثيلاً .

ولكن بالرغم من تلك القوى المدمرة التي أتت على السكان والآثار احتفظ أهل العراق خلال الوراثة الاجتماعية وخلال النواحي المادية الاخرى من الحضارة بقسم من تلك الخصائص المميزة والعناصر البارزة في الحضارة العربية الاسلامية التي كانت ولا شك أساساً قامت عليه حركتهم الحديثة . فالحضارة السائدة فيه الآن حضارة عربية اسلامية بالرغم من أنه يضم أديانا مختلفة وأجناساً متعددة ، ولهذا فان المُثُل التي تصطبغ بها الثقافة والتي تعين القيمَ المرموقة هناك والتي تركت آثارها في التربية والتعليم إنما هي المثال الديني الذي يرعى التعلق بالدين والانصراف في الدرجة الاولى الى امور الآخرة ، والمثال الكلاسيكي الأرستقراطي الذي يمجد العقل ويدعو الى تثقيفه لذات التثقيف ، ثم النزعة الدنيوية المدنية الآخذة بالنمو والتي ترمي الى توفير الكفاية الاجتماعية والاصلاح الاجتماعي وجعل الحياة اليومية الاعتيادية حياة

خصبة غنية .

ومن هذا يتضح الاصل في الصراع الذي تنطوي عليه الثقافة هناك فهو صراع بين نزعتين – نزعة تمت الى القرون الوسطى وتدعو بصورة عامة الى الزهد في الدنيا ، ونزعة حديثة ترمي الى الاهتمام بامور الدنيا هذه وما يتصل بالحياة العملية كما يزاولها الناس .

كان العثمانيون الذين حكموا العراق خلال فترة التقهقر والانحلال من القرن السادس عشر الى بداية القرن العشرين واخضعوه لرقابتهم السياسية والدينية قوماً متأخرين قاصرين عن قيادته ودفعه الى التقدم والنهوض . وما أن استأثروا بالسلطة السياسية والدينية اغتصاباً وجردوا العرب منها حتى عادوا يستغلون « الخلافة » على انها قوة الهيبة ليبرروا سلطان الاستبداد الذي بَسَطُوه على العالم العربي والاسلامي جاعلين من الدين ومن التعصب الذميم الذي أوقدوا ناره أداة في خدمة سيادتهم السياسية ، ولجأوا الى التفرقة بين الاقوام التابعة لهم جرياً وراء سياسة « فرق تسد » فأثاروا الحزازات وأوجدوا العداوات بين الطوائف والاديان المختلفة في العراق .

وكان الهدف الذي انصرفت جهودهم قروناً طويلة الى بلوغه ، وجعلوا من التعليم والوعظ والدعاية وغيرها وسائل لتحقيقه هو أن يحملوا أهل العراق على التوجه بولائهم على الانقياد الأعمى الى خليفة واحد ادعوا له أنه يمثل حقاً الآلهياً في خلافته وان له سلطان الدين والسياسة معاً غيرَ مدافَع .

ولهذا لم تعدُ امبراطوريتهم ان تكون حكومةً دينية مستبدة (أي اوتوقراطية تعتمد على الدين) تفرض انظمتها وقوانينها ومؤسساتها الحربية المتعسفة وحتى لغتها على العراق رغبةً في دوام سلطانها عليه وفي استمرار استغلالها لثروته واستعمال تلك الثروة لغناها هي دون الاهتمام بمرافقه واصلاح احواله. وفي سبيل ذلك قضت أو كادت على حرية التعبير، فقيدت الصحافة وتوعدت كل بوادر الصراحة والشجاعة الأدبية، وولدت الحور في النفوس ونزعت منها الثقة والاطمئنان بما اتخذته من رئاسة فاسدة واداة حكومية مضطربة – تحارب في الموظفين والأهالي روح الاستقلال والتصرف وسعة الحيلة، ولا تقنع إلا بالانقياد الأعمى والاستخذاء المهين. وضؤلت موارد البلاد من الزراعة والتجارة والصناعة لفدح الضرائب. ولم يبق للشباب من سبيل للارتزاق سوى وظائف الحكومة وأعمالها. وتلك حال سيئة لا تزال نجد آثارها في نظام التعليم الحالي وفي موقف الناشئين منه.

وفي عام ١٨٦٨ حاول أحد ولاتهم بعض الاصلاح، فتناول بعنايته الادارةَ الحكومية وقام غيره بمشروعين للري في الفرات – غير ان كل ذلك لم يُجْدِ كثيراً.

وقامت في البلاد العربية المجاورة عدة حركات تناوىء السلطان وتتجه للتحرر والانعتاق من ربقة الاستبداد، ولكنها في الغالب حركات محلية أتت متقطعة ومنفصلة – في الظاهر – الواحدة منها عن الاخرى. غير ان هنالك ما

يبدو شبه موجة عامة من اليقظة والوعي بعثتهـا في مصر البعثة الفرنسية واصلاحات محمد علي باشا ، وفي سوريا جهود الارسالية التبشيرية الاميركية وما تركته من آثار ، وحركة البعث للآداب العربية التي نشأت هناك . ولكن يبدو ان كل هذه لم تؤثر في العراق كثيراً . وقد ظهرت حركة دينية كبيرة لا بد ان العراق لم يفته ان ينتبه لها ، وهي حركة الوهابيين التي تشبه حركة المتطهرين (Puritans) التي نشأت في انكلترا مناوئة للكنيسة الانجليزية في دعوتهـا للاصلاح بالرجوع الى اصول الدين الاولى وتجريده مما لحق به من القشور والخرافات .

على ان أهم حركة ناجحة يمكن ان تعتبر بمثابة الظهارة (Background) للنهضة العراقية الحالية هي ثورة الاتحاديين في تركيا سنة ١٩٠٨ التي كانت ترمي إلى التحرر والاصلاح والتي انتهت بعزل الطاغية السلطان عبد الحميد . فقد ساعدت هذه الحركة على نشر مبادىء الحرية والافكار الحديثة في جميع بلدان الامبراطورية العثمانية . وما ان انتشرت هذه المبادىء الداعية للحرية والمساواة والعدل حتى تعلق بهـا شباب العرب وزعماؤهم في كافة الاقطار العربية وحتى كان أمر تحقيقها مدار مؤتمراتهم وجمعياتهم وصحافتهم فكان ذلك باعثاً على حركة النهضة العربية الكبرى التي وقفو بها في وجه الاتراك يحاربونهم في جانب الحلفاء (١٩١٤ - ١٩١٨) والتي كانت سبباً في تحررهم الحالي .

ولم تتهيأ الفرصة للعراق لأن يتصل اتصالاً مباشراً بالحضارة الغربية إلا زمن الاحتلال الانكليزي في الحرب العظمى الماضية . إلا انه اتصال لم يكن تام الموائمة لعملية التمثيل الثقافي لتضارب المصالح ، ولذلك الصراع المستمر حول السيادة والغلبة - ولكنه على أي حال كان عاملاً في بعث الروح العراقية داعياً الى التجديد والاصلاح في ثقافته . والحق ان من يحلل موقف العراق - وموقف العالم الاسلامي بصورة عامة - من الدول الغربية وسياساتها الاستعمارية يجد انه يتميز بتأثيرين - سلبي وايجابي . فاما السلبي فيظهر في حركات الكفاح العنيف أحياناً ، الرامية إلى القضاء على سيادة الدول الغربية عليه وعلى تحكمها فيه . وأما الايجابي فيظهر في أخذه بالفنون العسكرية والمؤسسات السياسية والتنظيمات الاقتصادية . وفي تأثره بالثقافة الروحية للغرب والافكار الحديثة فيه على أن يأتي كل ذلك عن طواعية وحرية في الاختيار لا عن اكراه واضطرار . ومن حسن الصدف ان الوضع في العراق انتقل من موقف خشية وريبة ومقاومة ، الى موقف صداقة متبادلة وثقة وتعاون فانتهى الحكم العسكري في العراق تدريجياً . وانفسح المجال بعد الثورة العراقية ١٩٢٠ وتأسيس النظام الملكي تحت زعامة المغفور له الملك فيصل الأول السديدة وسياسته الرشيدة ، أمام الحكومة الوطنية تستأثر بالحكم وتتولى تبعاته تدريجياً .

والمغفور له الملك فيصل الأول يعتبر بحق مؤسس

العراق الحديث ، وقد وجه حركة التقدم بحكمة ونجاح حتى كان العراق أول دولة تعدو دور الانتداب ، فتملك استقلالها التام مع اقتناع بريطانيا العظمى وعصبة الامم سنة ١٩٣٢ بحقها في ذلك . وقد انتظمت المصالح العراقية والبريطانية وتم التوفيق بينها والمحافظة عليها في معاهدة الصداقة والتحالف التي تربط البلدين وتقوم علاقاتهما عليها في الوقت الحاضر .

ولم يكن العراق وقد سلك طريقه الوعر في القومية والاستقلال على علم تام بعناصر ثقافته الغنية ومقوماتها ولا بأهمية موقعه الجغرافي (الاستراتيجي) الذي يجعل منه حلقة اتصال بين الشرق والغرب ولا بخصب أرضه أو غنى آبار النفط فيه . فهو اذن يبدأ حياته بين الامم الحرة احوج ما يكون الى جميع الاسباب التي تجعل منه أهلا لذلك المقام ، جديراً بالحرية والاستقلال .

ويتضح من تحليلنا السابق للثقافة العربية الاسلامية ان مقومات الثقافة العراقية التي هي فرع من ذلك الاصل يمكن ان تُحصر في ثلاثة مثل عليا أولها المثل الاعلى الذي يتصف بالتقشف ويتجه في الدرجة الاولى الى التعلق بأمور العالم الآخر ، وثانيها المثل الاعلى الكلاسيكي الذي يرمي الى تثقيف العقل وتهذيبه ويقصد الى تطور منسجم في الفرد (وهذا ما يؤكده اولئك الفلاسفة من العرب الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية) وأخيراً المثال الدنيوي

المدني ، الذي اتخذ مظاهر شتى بين العرب آخرها مظهره القومي – الديمقراطي المؤسس على الكفاية الاجتماعية ، التي تنتهي الى تمكين الفرد من حياة عاملة موفورة فكرياً واجتماعياً وأخلاقياً وجمالياً .

وقد رأينا في ذلك التحليل أيضاً أن هذه العناصر متضاربة في أصولها متفاوتة في مناهجها لا تجتمع على غاية أو وسيلة، وأن هذا الاختلاف والتضارب انما هو الاصل فيما يعتري الوضع الحالي من قلق وحيرة يجعلان مقاييسه في تقدير القيم مقاييس قاصرة ، ويفقدانه الاتزان في القصد والوجهة . ومن هذا يتبين أن أهم ما يحتاجه العراق انما هو القضاء على هذا النزاع بارجاعه الى اصوله وبالتوفيق بينهم ليعين ذلك في رسم وجهة التقدم وفي تقرير القيم الأخلاقية الملائمة . وهذا واجب يجب أن تضطلع به التربية ما دامت – كما قررنا – عمليةً اجتماعية تعمل على التطور وتنتهي اليه . ولا شك أن في مبادىء الديمقراطية من حيث هي طريقةٌ في العيش تقصد الى بناء نظام اجتماعي مؤسس على التعاون ، ينفسح فيه المجال أمام تطور الفرد من كافة نواحيه ما يحقق هذا المثل المدني الأعلى .

وفيما يلي نموذج من المشاكل التي يجابهها العراق الآن.

١ – مشكلة تجديد وتعديل نظام التربية والتعليم ليصبح وسيلة صالحة لتوفير أسباب حياة اجتماعية نشيطة ، وللقضاء على الأمية المستولية على أغلبية أفراد الشعب .

٢ – توفير أسباب الصحة الجسمية والعقلية من طريق وسائل الوقاية ومحاربة الامراض والعادات الصحية السيئة واتخاذ الاحتياطات الكافية ضد انتشار الأوبئة المعدية .

٣ – توفير أسباب الثروة في البلاد باستغلال مواردها الطبيعية الغنية وتحسين الزراعة والصناعة والتجارة ، وادخال النظم التعاونية فيها ، تلك التي ترمي الى المصلحة العامة دون المنافسة على الارباح الشخصية الفاحشة غير المشروعة .

٤ – العمل على استقرار الفلاحين والعمال وتوفير الضمانات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية لهم وتهيئة الفرص أمامهم للتربية والتعليم .

٥ – اصلاح نظام الأراضي بحيث يصبح ممكناً استئجارها أو بيعها ، والعمل على توزيعها بعدل على الاكفاء والراغبين من أفراد الشعب .

٦ – العمل على رفع مستوى الحياة بصورة عامة .

٧ – المحافظة على حقوق الأقليات – على أساس العدل والمساواة .

نظام التعليم العراقي في العهد التركي

اتجهت الادارة التركية قبل ابتداء الحرب العظمى الاولى مباشرة الى وضع نظام تعليمي في العراق فأنشأت حوالي ١٦٠ مدرسة ابتدائية كان معدل ما تضمه من الطلاب ستة آلاف طالب ، وفتحت بضع مدارس ثانوية وبضعة دور لاعداد

المعلمين .

وكان ما يطمح اليه الاتراك ان يديموا سيادتهم على العراق ، الذي يختلف عنهم في العنصر والحضارة واللغة باستغلال وحدة الدين الاسلامي التي يجتمعون فيها والعراقيين على عقائد واحدة . ولهذا اضفوا على الخلافة التركية ، التي ليس لها إلا الصفة المدنية ، حقوقاً الهية ليكسبوا لها صفة دينية تتمكن بها من السيطرة على العالم الاسلامي ، وفي ضمنه العراق ، سيطرة مطلقة تفرض على اشياعها التسليم التام مع التقديس والاجلال . وجعلوا من المدارس وسائل لتحقيق هدفهم السياسي الذي ينطوي على تكوين امبراطورية واحدة تحت خليفة واحد ، تجري على نظام مركزي . وارادوا من تلك المدارس أن تضمن الولاء والطاعة للخلافة في الاستانة فكانت العناصر البارزة في مناهج الدراسة هي تدريس العقائد الاسلامية ، واللغة والثقافة التركية ، والعلوم الحربية مع التدريب العسكري .

ويجري نظام التعليم التركي على الطريقة الفرنسية التي تتميز بالمركزية والتماثل الشامل ، والنظام الصارم ، والاهتمام بالمعلومات والامتحانات . ولا تزال آثار ذلك النظام ظاهرة في المدارس العراقية من حيث طرق التدريس ونظام الادارة ، وترتيب المناهج . ومثل هذا النظام لا يفسح المجال أمام تطور الفرد . وهذه السياسة التعليمية الضيقة المبنية على الاستبداد والتسليم المطلق والتي لا تتصل بالثقافة العراقية

وترفض أن تتعهدها هي سياسة أبعد ما تكون عن تحسين الحياة العراقية وتوفير أسباب تقدمها .

نظام التعليم تحت الحكم الوطني

كانت وزارة المعارف من بين الدوائر الاولى في الحكومة العراقية التي خلت من الرقابة الانكليزية وارشاداتها ومساعداتها وتحملت مسؤوليات وضع خططها وتنفيـــذها . ويتضح من المقارنة التي سنأتي عليها ان اتساع التعليم خلال الحكم الوطني كان عظيما وإن كانت لا تزال هناك نواقص كثيرة فيه تستدعي تحسين نوعية التعليم السائد في العراق واصلاحه ووضع الخطط الصائبة لتوجيهه الوجهة الصحيحة قبل التوسع الكبير فيه . ومع ان الشوط الذي قطع لا بأس به فانه لم يف بالحاجة ولم يصل الى الكمال . فلو ضمت المدارس كل طفل في سن التعليم لارتفع العدد الحالي الى اربعة اضعافه .

كان عدد المدارس الاولية والابتدائية للبنين والبنات سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ ثماني وثمانين مدرسة ، معدل ما تضم من الطلاب (٧٤٥٢) طالباً وطالبة وفيها (٤٨٦) معلماً ومعلمة . وكانت ميزانية المعارف كلهـا لا تتجاوز (١٣٠٣٦٠) ديناراً أو ٢ ٪ بالمائة من ميزانية الدولة العامة . ولكن في السنة الدراسية ١٩٤٤ – ١٩٤٥ بلغ عدد المدارس الأولية والابتدائية الرسمية تسعمائة ومدرستين أي بزيادة قدرها (١٠٢٥) بالمائة وبلغ عـدد المعلمين (٤٤٩١) أي بزيادة قدرها (٩٢٤) بالمائة وبلغ عدد

الطلبة في الابتدائيات (١٠٠٩٧٧) أي بزيادة قدرها (١٣٥٥) بالمائة . أما المدارس المتوسطة والثانوية للبنين والبنات فقد ابتدأت بثلاث مدارس فقط ضمت (١١٠) طلاب وأربعة وثلاثين مدرّساً فبلغت ١٩٤٤ – ١٩٤٥ (٧١) مدرسة ضمت (١١٣٠٩) من الطلبة و ٥٣٩ مدرّساً ومدرّسة . هذا عدا المدارس الصناعية والزراعية والتجارية واعداد المعلمين والمعلمات والكليات العالية للطب والصيدلة والحقوق والمعلمين والهندسة والشرطة والحربية التي يؤمل أن تكون النواة للجامعة العراقية . وقد بلغت ميزانية المعارف (١٣٣٥٤٧٥) ديناراً أي بنسبة ٨ بالمائة من ميزانية الدولة العامة .

اهداف التربية والتعليم في العراق

من المؤسف ألا يكون نظام التعليم في العراق مؤسساً على فلسفة موحدة شاملة وصحيحة . والاهداف التي ينطوي عليها ضمناً أو صراحة اهدافٌ متضاربة لا تجتمع على وحدة في الغاية ولا اتفاق في القصد . ولعل ما فيها من التضارب مسؤول الى حد كبير عما يعانيه الشباب اليوم من اضطراب وحيرة كان لهما اثر سيء في النفوس .

ويمكن اجمال تلك الأهداف كما يأتي :–

١ – المثال الديني التقليدي الذي يظهر في تدريس المواد الدينية بصورة شكلية تقليدية ، بدلا من الاعتماد على روح الاسلام الحقة وما تدعو اليه من تيسير المساواة في الفرص

وتأكيد الاخوة الانسانية ، مما يمت الى الحياة المدنية الاجتماعية ويعمل على وفرتها وغناها . وعلى اساس ذلك المثال الديني التقليدي الذي يتعلق بالشكل والظاهر ، تقوم المعايير الاخلاقية السائدة الآن في مدارس العراق عوضاً عن معايير في الاخلاق عملية مدنية تتصل بامور الحياة العاملة وتعتمد على الحكم والتفكير الشخصي .

٢ - المثال الدنيوي المدني الذي يتصل بالقومية والوطنية وبالكفاءة الاجتماعية الديمقراطية ، ويرمي ضمناً الى تيسير الحياة العاملة للفرد وغناها ، وهو يبدو في دروس التاريخ والمعلومات المدنية والعلوم والصحة والحرف ، وفي نواح أخرى كالأناشيد الوطنية ودراسة العادات الشعبية ، والتدريب العسكري .

٣ - المثال الكلاسيكي الذي يرمي الى تثقيف الفكر لذاته والعمل على تطور منسجم فيه ، وذلك يبدو فيما تؤكده المناهج العراقية من أهمية المعلومات لذاتها ، أو طلب المعرفة لأجل المعرفة ، وفيما تحتوي من المواد والمواضيع المتعددة المرهقة ، التي لا تتصل بالحياة العاملة ، ولا يمكن تبرير وجودها الا على أساس نظريات الترويض العقلي وانتقال التدريب .

٤ - المثال الذي يعتمد على تلك الثنائية التي تفرق بين الثقافة والعمل . ويبدو ذلك عند تمحيص مناهج وجداول الدراسة المختلفة وتوزيع المواضيع فيها ، والتي تنطوي على

اعتبار مواد مثل الرياضيات والعلوم والتاريخ والجغرافية مواد نظرية بحتة ، تقابلها مواضيع الاعمال اليدوية ، والزراعة العملية وما يشبهها كمواد عملية بحتة . وذلك خطأ ناتج من التفريق بين المعرفة والتجريب . والامران بعد يرجعان الى اصل واحد ، ويجب أن يسيرا جنباً الى جنب .

٥ - المثال الذي يعتمد على صرامة النظام وقوة الانضباط ، ويرى خيراً في الارغام ، وفي التماثل الشامل والحرص على اكتساب المعلومات والانقياد الأعمى ، والذي يكون فيه المعلم مصدر السلطة ، بما هو مضاد للطريقة الديمقراطية التقدمية في التربية التي تدعو الى اطلاق الحرية والاكتفاء بالتوجيه ، والحض على روح التطلع والمبادهة ، والى الاهتمام بالفروق الفردية والتطور المتوازن في الشخصية وتعوّد التفكير المستقل ، والتي يكون فيها المعلم مرشداً يحمل الطفل على المساهمة الفعلية التعاونية في أمر تربيته وتعليمه .

وعند تمحيص هذه الاهداف ، ودراستها دراسة فاحصة ، تبدو حقيقة اختلافها في الغاية والقصد وفي الطريقة والمادة جلية واضحة . أما المدارس العراقية فتجهل أو تتجاهل هذه الحقيقة وتجمع في تأكيدها بين المثال الديني والمثال المدني من دون أي تفريق بالرغم من التناقض البين بين أسلوبيها . فالحقائق والمقاييس الاخلاقية ، تبعاً للمثال الأول ، ثابتة مطلقة لا يجوز للشخص أن يتساءل عنها أو يشك في السلطة الآمرة

من ورائها ولا يحق له ان يمتحن صحتها امتحاناً موضوعياً أو يجرأ على دحضها وإنكارها . وإنما هي حقائق تتصل بعالم فوق الطبيعة ، وليس للمرء امامها إلا التسليم والايمان .

وأما المثال الدنيوي المدني فلا يرى امامه ما يفرض سوى هذا العالم الأرضي ، وهذه الحياة العاملة كما يزاولها الناس ، الحياة المتجددة المتغيرة التي لا تبقى على حال واحدة طويلاً ، وليست الحقائق فيها سوى وصف تقريبي للواقع ولما أمكن تمحيصه من الظواهر ، وهي قابلة للتغيير ولاستيفاء الكمال تدريجاً كلما اتسعت المعرفة وتحسنت وسائل التمحيص العلمية .

فامامنا هنا عالمان جد مختلفين : يستقي الاول مادته من محض الأيمان ويتناول ظواهر تسمو على الزمان والمكان ، ويعتمد الثاني على العلم الذي يخضع جميع الظواهر لطريقته في التفسير التي ترجع تلك الظواهر الى عللها السابقة في الزمان والمكان والتي تنكر أن يكون لأي مستوى من مستويات التجربة المادية والبيولوجية والاجتماعية مكانة سامية ميتافيزيقية .

وتمضي مدارس العراق في تأكيدها على هذين العالمين وما يتبع كلاً منهما من طرق ووجهات في التفكير تختلف في الواحد عنها في الآخر من دون ان تدعو الطلبة ، حتى في المدارس الثانوية والمعاهد العالية ودور المعلمين ، الى تأمل الفرق بينهما والتفكير فيه ليكونوا على بصيرة من الأمر

حياتها . وتظهر أهمية الفرق بين هـــذين النمطين من الطرق والاتجاهات جلية واضحة عند ما يطبقان في مجـــال واسع على الافكار والعقائد السائدة حول أمور مثل حرية الأرادة والقصد ، او اسباب الأمراض وكيفية انتشارها ، أو تعليل الكوارث والنوازل الطبيعية ، وكيف يمكن التحكم والقضاء على تلك الأمراض او تلك الكوارث ، وغيرها من المشاكل التي لا شك في أن حلولها الصحيحة الموفقة توسع دائرة التفكير وتصقل البصيرة مما يوضح ويحدد مفهوم المرء فيما يخص موقفه من الكون وتبعاته فيه . وقـــد لوحظ ان بعض الطلاب المتخرجين من المدارس العـــالية لايميزون بين اساليب الطريقة التجريبية والاساليب التي تفرضهـــا قيود الوراثة الاجتماعية والتقاليد .

وصراع آخر عنيف تحتضنه مدارس العراق ، ويقع عليها واجب فضه والحكم فيه ، وهو الصراع الذي يـدور بين روح الأسلام المؤكدة للديمقراطية وللأخوة الانسانية الشاملة التي تعلو فوق فوارق السياسة والجنس ، وبين القومية التي تعتمد على النزعات العنصرية ووحدة الدم والحضارة واتفـاق المصالح القومية الخاصة .

ولا يقل عن ذلـــك الصراعُ الذي يدور بين مذهبين مختلفين في الحياة والتربية لا يمكن التوفيق والملائمة بينهما ـ مذهب الاستبداد والعسف في الحياة وما يتبعه من فلسفة في التربية والتعليم ، ومذهب الديمقراطية والحرية الشخصية ومـا

يتبعه من فلسفة تقدمية في التربية والتعليم ايضاً . فهذان المذهبان يكادان يتركان أثرهما في جميع الاعمال المدرسية من الادارة ونظمها وترتيب المناهج الى وسائل التدريس وطرقه ، من دون ان ينتبه المسؤولون لذلك التناقض الواضح الصريح . فأما النزعة الاستبدادية فتظهر في تلك التغرضات الدينية والعنصرية وفي التفريق بين الأقوام والعقائد المختلفة ، مما يقضي على روح التعاون والألفة ، وفي ذلك التعليم الضيق الذي يعتمد على التلقين والارغام ، وفي ذلك النظام الصارم ، وفي فرض الطاعة والامتثال فرضاً عن طريق التدريب العسكري وما يشبهه مما يعوق حرية البحث والتفكير وينزع من المرء حقه في الحكم فيما يتصل به من شؤون ، فيفقده القدرة على توجيه حياته والتصرف فيها .

وما تؤكده النزعة الاستبدادية في التربية ، تلك النزعة التي تفرض كوناً ثابتاً غير متجدد ، وتقصر التربية على ناحية سلبية تكتفي باكتساب ما انتهت إليه المعرفة من معلومات ، انما هو المقاييس والمهارات يضعها الكبار من دون تحليل وتدقيق ونظر في صلتها بحاجات واولاع وغايات الاطفال المختلفين ، والتدريب والاستظهار الآليان ، وذلك النوع من التفكير غير المترابط ، الذي لا تأتلف فيه الأجزاء او تتصل الحلقات . وعلى الضد من ذلك تلك النظرة التي تؤمن بالحركة والنشاط والتجدد في الحياة والتربية ، وما تتطلبه من النمو التام الموحد للشخصية ،

فليس في هذا النوع من التربية حد للابتكار والتفكير المبدع فهو ينظر الى النقد والتمحيص المستمر كجزء اساسيّ في التربية والتعليم .

وعلى وجه الاجمال ، يبدو أنه ليس هناك من سبيل لازالة تلك البلبلة والقضاء على ذلك الاضطراب ، إلا بالرجوع لذلك المبدأ الديمقراطي وتحقيق ما يتطلبه من تيسير الفرص الكافية لتطور الفرد عن طريق حياة عاملة غنية . وذلك المبدأ مدني اجتماعيّ في اساسه ، وهو يتفق والنظرة العلمية ويعمل على التقدم والتطور . وقد لقي نجاحاً وتوفيقاً في البلاد ذات الدساتير الديمقراطية التي تم فيها انفصال الكنيسة عن الدولة كالولايات المتحدة الاميركية وفرنسة ، وكالجمهورية التركية التي فصلت بين الدّين والدولة .

ففي هذه البلاد عاد الدين امراً يخص الفرد وحده . فله ملء الحرية فيما يعتقده ما دام لا يتعارض وما يتطلبه المثل المدني ، فان حدث نزاع فالدولة اولى بالولاء والمناصرة .

تنظيم المعارف وادارتها في العراق

في سنة ١٩٢٠ أصبحت مديرية المعارف وزارة يرئسها عضو في مجلس الوزراء يعتبر مسؤولاً عن تنفيذ سياستها لا يناقشه في مسؤوليته الا مجلسا الأمة . وقد نصت المادة الاولى من نظام وزارة المعارف لسنة ١٩٤٥ [١] على أن الوزير هو

(١) اصدرت وزارة المعارف نظاماً جديداً ، والكتاب ماثلٌ للطبع ، احدثت فيه مديريات عامة للتعليم العالي والثانوي والابتدائي ومفتشية عامة للتعليم .

المرجع الأعلى في الوزارة وهو المسؤول عن ادارة شؤونها وعن حسن قيام جميع موظفيها بواجباتهم المنوعة ، وتصدر جميع الأوامر والمقررات والتعليمات بأمره وتنفذ باشرافه ومراقبته .

ومدير المعارف العام اكبر موظف مسؤول عن تنفيذ خطط الوزارة بعد الوزير نفسه . وقد نصت المادة الحادية عشرة من نظام المعارف رقم ٢٩ لسنة ١٩٤٥ على ان مديرية المعارف العامة يرئسها مدير عام ذو خبرة بامور المعارف الادارية ويشؤون التعليم في المدارس يكون مسؤولاً تجاه الوزير عن حسن ادارة جميع المدارس وتفتيشها بحيث يتيسر للشبيبة العراقية كافة تلقي التربية الاخلاقية والثقافية والمدنية الصحيحة بقطع النظر عن قوميتهم ولغتهم وأي فارق آخر كما يكون مسؤولا ايضاً تجاه الوزير عن حسن قيام المديريات والشُعب التابعة له حسب القوانين والانظمة المرعية .

ويساعد مدير المعارف العام في القيام بواجباته معاونون وهيئة من مديري الاقسام ومديري معارف الالوية والمفتشين ويكونون مسؤولين تجاهه مباشرة عن الاعمال المنوطة بهم . اما رؤساء الأقسام في مركز الوزارة فيتألفون من مدراء التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والمهني واعداد المعلمين والبعثات والمباحث الفنية والمدارس الاهلية والاجنبية ورئيس المفتشين . وتوجد في ديوان وزارة المعارف في الوقت الحاضر المجالس واللجان المهمة الآتية :

١ – مجلس شورى المعارف : وهو المجلس الاستشاري

الرئيسي لشؤون المعارف ويتألف من جماعة من كبار موظفي الدولة وعمداء الكليات وذوي الخبرة بشؤون المعارف ، ومهمته تبادل الاراء في رسم خطط المعارف العامة .

٢ – مجلس معارف اللواء الاستشاري : ومهمته استعراض تقدم المعارف في اللواء وتقديم الاقتراحات في اصلاح المعارف وتوسيعها .

٣ – مجلس المعارف الدائم : وهو أشبه شيء بالمجلس الاستثنافي الذي يناقش الأعمال المهمة للجنة المركزية المؤلفة من رؤساء الاقسام وينظر في القضايا الآتية :

أ – خطط المعارف واتجاهاتها وشؤون المعاهد العالية .
ب – المناهج الدراسية . ج – استخدام الاجانب .
د – الميزانية العامة . هـ – شؤون البعثات وغير ذلك .

٤ – اللجنة المركزية : وواجباتها تدقيق المناهج الدراسية الواردة من اللجان المختصة وخاصة من لجنة المناهج العليا ورفعها الى مجلس المعارف الدائم للبت فيها والتصديق على شراء الكتب لمكتبات المعارف والنظر في شؤون البعثات هذا عدا الاشراف على الاقسام التعليمية المنوطة بكل واحد منهم .

ومما يؤاخذ عليه هذا النظام عدم استفادته من النظام الافقي في الادارة الذي أصبح عليه الديوان بعد أن كان سائراً على النظام الشاقولي من تسلسل المسؤوليات والصلاحيات من الاعلى الى الاسفل إذ لا تزال الصلاحيات والمسؤوليات

مركزة بيد المدير العام والمركزية قوية والعمل غير موزع بين رؤساء الاقسام ومديري المعارف في الالوية فقد قلصت صلاحياتهم وانيطت بمجلس المعارف الدائم . كما انه يحسن أن ترفع رئاسة التفتيش الى درجة مديرية عامة فتحفظ التوازن بين المسؤوليات في الديوان وتكون مسؤولة تجاه الوزير وليس المدير العام كما هي الحال اليوم . وفي الاجمال يمكن ذكر المزايا الآتية لنظام التربية والتعليم في العراق :-

١ - كون النظام ذا سلم واحد مما يسهل استمرار وتقدم الطلاب في الدراسة دون صعوبة .

٢ - كون التعليم الابتدائي حراً ومجاناً لجميع ابناء الامة على السواء وكذلك التعليم المتوسط والثانوي بالنسبة الى قلة الاجور الدراسية المستوفاة عنه وإعفاء الفقراء منها .

٣ - اقرار مبدأ التنويع في التعليم الثانوي .

٤ - الاستعانة بالمجالس الاستشارية في الديوان وفي الألوية التي تضم رجالا من مختلف طبقات الامة للاستنارة بآرائهم وارشاداتهم .

الحياة المدرسية واقسامها

تتألف الحياة المدرسية ، حسب النظام الحالي من دراسة ابتدائية ذات ست سنوات ومتوسطة ذات ثلاث سنوات واعدادية ذات سنتين ومجموعها احدى عشرة سنة . وتتألف الدراسة العالية من اربع او خمس سنوات . أما التفريق

بين الدراسة الاولية والابتدائية أو بين المتوسطة والأعدادية ، فهو تفريق في الدرجة لا في النوع ، فلا ينظر فيما تنص عليه مناهجها المختلفة من معلومات وما تتطلبه من تجربة الى الاختلاف في مستوى النمو الذي يكون عليه الطلاب بين مرحلة وأخرى ، ولا فيما يستدعيه ذلك من اختلاف في مستويات التجارب المناسبة للطلاب عند اي مرحلة ، بل الى مجرد كمية المعلومات والمهارات التي سبق لهم ان مروا بها . وهذا يعني أنه لغرض الدراسة الاولية والابتدائية لم يستفد من علم نفس الطفل ولا مما كشفه من درجات التطور في الاطفال ، وأن تلك الدراسة ليس منظوراً فيها الى حاجات الاطفال الطبيعية ، وأولاعهم وتجاربهم .

وكذلك قل في الدراسة المتوسطة والاعدادية . فهي لا تجري على اساس من فهم لحاجات ومشاكل المراهقة ، ولا لما يحتاجه المراهق من جهد في التوفيق بين نفسه وبين محيطه سواء فيما يخص عواطفه الشخصية أو صلاته الاجتماعية ، وما يتطلبه من نمو سليم وتطور يدفع به تدريجياً الى حياة الكبار واعمالهم وتبعاتهم .

المنهج

أ ـ الغايات والاهداف :

لقد اشرنا سابقاً الى ما يظهر من انعدام وحدة ثابتة في

القصد ، تجري وفقها خطط ترتيب المناهج ووضعها . وما ترمي إليه هذه المناهج من اهداف صريحة او ضمنية ما هو إلا مزيج مضطرب غير متوافق ، يحتاج في توضيحه وتفسيره الى الرجوع الى مبدأ شامل يمكن بواسطته فض ذلك النزاع بين الاهداف والملائمة بينها . ذلك المبدأ الشامل هو ما اقترحناه من الكفاية الاجتماعية كما تتمثل في حياة وافرة وفرص واسعة أو هو مثال الحياة المدنية الاجتماعية التي ترمي الى توفير اسباب التطور الفكري والاجتماعي والاخلاقي والجماليّ .

وليحقق المنهج ذلك المبدأ ، يجب أن يكون خطة مرسومة لحياة اجتماعية تفي بحاجات الاطفال الطبيعية وأولاهم وتجاربهم وبهذا تهيئهم لمواجهة مشاكل حياتهم بصورة واقعية حقة . ويجب أن يرمي المنهج الى تمكين الطلاب من التوجيه الذاتي الحصيف . والى نماء شخصياتهم واستكمالها تطور ما تنطوي عليه من استعدادات .

ب ـ تنظيم المنهج وترتيبه :

يتم تنظيم المنهج حسب مواضيع الدراسة المختلفة ، وتعين مواد كل موضوع بصورة جازمة آليّة تفرضها وزارة المعارف على جميع انحاء القطر دون تمييز بينها أو تكييف لحاجات المناطق والارياف المختلفة . ومثل هذا المنهج يجري وفق مفهوم لمجتمع ثابت غير متغير تكون التربية فيه إعداداً لمراحل من العيش والتجارب خيالية غير واقعية يقوم برسم خططها

واستباق حدوثها الكبار دون مراعاة حاجات المتعلمين ولا تكون ، كما يجب ، تجديداً مستمراً للنمو وللخبرات عن طريق التأثيرات المتبادلة بين الفرد ومحيطه . وهذه المواد الجاهزة التي أتم وضعها الكبار وحرموا فيها التبديل والتنويع لا تلقى من الأطفال آذاناً واعية ولا نفوساً متشوقة متطلعة لأنها لا تتصل برغباتهم وأشواقهم ولا بقدراتهم وتجاربهم . فمن البعيد أن تثير فيهم نشاطاً يجري الى قصد وغاية وينطوي على بواعثه الدافعة المؤدية به الى الاستمرار حتى يحقق غرضاً ويصل الى نتيجة . ومن البعيد ايضاً أن يقود العمل الى عمل جديد آخر ، وانما هو عمل مبتور لا يتصل بسابقه ولا بلاحقه بصلة من البواعث والاشواق .

ج — الطريقة

اما الطرق فاستبدادية آلية يبدو فيها التعسف والارغام لأنها لم توضع بحكمة ونظر الى تجارب الصغار وغاياتهم ولم تراعَ فيها اشواقهم وقابلياتهم . ويستعمل في الغالب من علم النفس تلك النظريات التي تجري على مبدأ التجزئة (Atomistic) فيلقى التمرين المجزء والعادات والمهارات الآلية كل تشجيع ولا يلتفت الى النمو الموحد في الشخصية والتطور الشامل للنواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية العاطفية .

المبررات لوضع المناهج على اساس المواضيع المختلفة

يظهر من التمحيص الدقيق للمناهج المختلفة للدراسة

الأولية والابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ولمناهج دور المعلمين انه يمكن ترتيب الفرضيات الاساسية التي تقوم عليها تلك المناهج كما يأتي : ١ - المعرفة لذات المعرفة . ٢ - المعرفة لغاية الترويض العقلي وتهذيب الذهن وتطوره وما يستدعي ذلك من ايمان بنظرية انتقال التدريب بين جميع القدرات والاختبارات . ٣ - المعرفة لاغراض دينية كدراسة العلوم لغاية كشف أسرار خلق الكون والحياة . ٤ - المعرفة من حيث هي وسيلة للحرف والمهن . ٥ - المعرفة للمواطنة . ٦ - المعرفة للثقافة . ٧ - المعرفة لاغراض مدنية وللكفاية الاجتماعية . فجميع هذه الغايات تدخل صراحة او ضمناً في ترتيب المناهج ، وكل منها يحاول ان يستأثر بمكان دون الاخرى . والحق انه من السخف ان يحاول المنهج تحقيق قليل من كل منها ، أو تحقيقها كلها . وليس من سبيل للقضاء على هذا الاضطراب إلا بالرجوع لمبدأ الكفاية الاجتماعية واستيفاء المنهج له بان يكون منهجاً مستوعباً للتجارب التي تجعل حياة الطفل غنية خصبة وواقعية الى الحد المستطاع .

الدِّراسَة الأولية والابتِدائية

تعين مواد الدراسة الاولية والابتدائية ، كما أشرنا آنفاً ، في مجموعة من المناهج تصدرها وزارة المعارف وتطالب كافة المدارس في العراق بتطبيقها دون تبديل أو تنويع . هذه المناهج ، وان كانت تحوي تلك المواد التي تم الاجماع على اعتبارها عناصر أساسية للثقافة العامة .وترفق بوصايا تُنص فيها على ضرورة الاتقان التام لتلك المواد ويحـــذر من تعليمها تعليما شكلياً ، تقصر عن أن تجعل توسيع مدى حيـــاة المتعلمين وغناها غايتها الأولى ولا تفي بتيسير تطور شخصياتهم ونمائها وفقاً لما تقتضيه الحياة الديمقراطية الاجتماعية . والمبادىء الرئيسية التي يبدو أن هذه المناهج تقوم عليها هي اكتساب المعلومات والعمل لتثقيف ونمـــاء بعض القوى الذهنية والسعي لتخليد تلك المثل التقليدية في المجتمع والتربيـة التي لاتعدو أن تحافظ على الحال الراهنة في الحضارة كما هي من دون تغيير أو تجديد . اما مديرو المدارس وهيئاتها فليس امامهم إلا التقيـد بالوصايا وتطبيق مواد الدراسة المفروضة بصورة

تجعلهم يستوفون مقررات كل فصل في الميقات المحدد قبل نهاية السنة الدراسية .

ويجري توزيع مواضيع الدراسة الاولية والابتدائية (في حصص تبلغ الواحدة منها خمساً واربعين دقيقة) على الصورة الآتية :-

الموضوع	الدراسة الابتدائية				الابتدائية	
	١	٢	٣	٤	٥	٦
الديانة	٤	٥	٥	٥	٢	٢
اللغة العربية	١٢	٩	٨	٨	٥	٥
الحساب والهندسة	٦	٦	٥	٥	٥	٥
الجغرافية والتاريخ		٢	٤	٤	٤	٤
الاشياء والصحة	٢	٢	٢	٢	٢	٢
المعلومات الاخلاقية والمدنية					٢	٢
اللغة الانكليزية					٩	٩
الخط		٣	٣	٣		
الرسم والاعمال اليدوية	٣	٢	٢	٢	٣	٣
النشيد	٢	١	١	١		
الرياضة البدنية	٣	٢	٢	٢		
المجموع	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢

الادارة والتنظيم المدرسي

اما نظام الأدارة في المدارس الابتدائيـــة فيعتمد على الشدة والصرامة في النظام ، ولا يفسح المجال للحرية والابتكار

الشخصي ولا يشجع على المساهمة الاجتماعية والتعـــاون بين المعلمين والطلاب والمديرين . فهي ادارة لا تقصد الى العمل على ايجاد محيط مناسب وظروف ملائمة لنمو الطلاب والمعلمين بقدر ما تقصد الى مراقبة تنفيذ التعليمات والانظمة . والمدير هو المسؤول الأعلى عما يجري في المدرسة ، وعليه أن يتأكد من تطبيق المناهج المقررة واقتفـــاء وتنفيذ جميع الوصايا والتعليمات التي يضعها المفتشون او تعينها السلطة المركزية . وهو في الغالب لم يُعَدّ للأدارة إعداداً مهنياً خاصاً ، وانما اختير من بين المعلمين الناجحين فنجاحه في التعليم هو السبب في أن يعهد إليـــه ذلك الواجب الأداري الذي يتألف في الغالب من اعمال رتيبة تقتصر على المراقبة وكتابة التقارير ، وليس من همه أن يعمل على تحسين التدريس واساليبه فذلك من اختصاص المفتشين وحدهم . والمعـــايير التي يتمّ تقدير الأدارة الصالحة بواسطتها ليست اكثر من النجاح في التنظيم الآلي كما تبدو في نسبة الدوام العالية للطلاب ، وفي اقتفاء التعليمات والأنظمة وتنفيذها ، وفي السلوك الحسن واجتناب المنازعات مع الهيئة التعليمية ، وحمل الطلاب على مستوى عالٍ في الدرس والتحصيل كما يبدو في نتائج الامتحانات العامة .

المنهج

أ ـ الغايات والاهداف :

ليست مناهج الدراسة الأوليـة والابتدائية أثراً لفلسفة

اجتماعية في التربية . وما يبدو فيها من الاهداف لا يعدو ذلك المزيج المختلط منها والذي ينطوي عليه صراحة أو ضمناً نظام التعليم في العراق بكل ما يحتوي عليه ذلك المزيج من اهداف متضاربة ونزعات متضادة .

ويعتمد على مجرد التلقين في توجيه ولاء الطلاب وتعلقهم بمثل التقاليد الدينية ، وبالقومية العربية والوطنية العراقية ، وفي تقديرهم لقيمة الترويض العقلي والتحصيل الدراسي البحت ، ولأهمية الحرف العملية والمهن الفكرية ، وفي وجوب الطاعة التامة والانقياد الأعمى — والنتيجة من كل هذا دوام الحال الراهنة بجميع نواحي الاضطراب فيها .

ب — ترتيب المنهج :

تحتوي المناهج على مواد الدراسة التقليدية ، مرتبة حسب المواضيع المختلفة . ويأتي كل موضوع في اجزاء يراعى في ترتيبها التعاقب المنطقي لا النفسي ، ويفرض اتمام اي جزء في مدة معينة ، ولا ينظر في كل ذلك الى الاعتبارات النفسية من ضرورة تكييف المواد للفروق الفردية بين الطلاب ، ولاولاعهم وقابلياتهم وبواعثهم على العمل .

وهذه المواضيع المجزأة ليست بذات صلة مباشرة بحياة الطلاب وتجاربهم وغاياتهم . وأي تجارب نافعة محببة ، تعين الطلبة على حل المشاكل التي يجابهونها في حياتهم الواقعية ، وتعمل على نماء شخصياتهم وتطورها ، يمكن أن تأتي من دراسة

تسير حسب جدول قد رتب ترتيباً آلياً في حصص متعاقبة قصيرة غير متآلفة ، بحيث تتلو حصة التاريخ مباشرة ، مثلاً ، حصة النحو أو الرياضيات ، فتأتي الدراسة متقطعة غير موصولة ؟

ويزدحم المنهج ، كما يتضح من جدول توزيع الدروس ، بمواد الدراسة البحتة التقليدية ، مما يدل على ان مدارس العراق ما هي إلا مؤسسات لاكتساب المعلومات وليست مؤسسات للحياة وللمعرفة خلال العمل .

والمنهج على وجه الاجمال :

أ – لا وحدة عضوية بين اجزائه . وحتى تدريس العربية نفسها مقسم الى فروع كالقراءة ، والقواعد ، والانشاء ، والاستظهار ، والاملاء ، مفصول بعضها عن بعض فصلاً تضيع معه الغاية الاولى من تمكين الطلاب من النطق الفصيح والكتابة السليمة .

ولا ترتبط المواضيع المختلفة فيما بينها لتؤلف مجاميع واسعة منها ، كأن تضم الاجتماعيات دروس التاريخ والجغرافية والمعلومات المدنية ، وتضم الفنون الموسيقى والتمثيل والاعمال الفنية الصناعية ، وتضم العلوم الفسلجة والصحة وهكذا . أما التعليم عن طريق الفاعليات – وفيه تكون البيئة واحوال المجتمع ومرافقه وما يتصل بذلك من مختلف التجارب والاختبارات مواضيع للدرس لغاية الوصول الى حلول للمشاكل الاجتماعية ، مع ما يحتاجه هذا النمط من التعليم من فترات من الزمن طويلة ، وعدم تقيد بالحواجز

التقليدية بين المواضيع المختلفة ، وما يستدعيه من اتصال باشواق الطلاب واولاعهم واثارة لها ، وحثهم على التعاون فهو غير معروف في مدارس العراق .

ب – لا يرتكز المنهج على دراسة فاحصة للثقافة الاسلامية العربية عامة ، وما ظهر منها في العراق خاصة ، ولا على تقدير لمقوماتها ومميزاتها .. ولذلك فان الوظيفة الاجتماعية للمدرسة العراقية لا تتعدى مسايرة تلك الثقافة والاحتفاظ بالنمط من المجتمع الذي ترتضيه ، من دون ان يكون لها (المدرسة) اي جهد في بناء نظام اجتماعي جديد .

ج – لا يرسم المنهج خطة لنظام مدرسي تتمثل فيه الحياة الديمقراطية بما يبعثه ويشجع عليه من المعيشة التعاونية وما يهيء من مجال لنماء شخصيات الطلاب واستيفائها حدود التطور عن طريق جعل حياة كل طالب غنية حافلة .

طرق التدريس

إن ما يستدعيه منهج مبني على أساس الفصل بين المواضيع المختلفة ، فيما يخص طرق التدريس هو ، بايجاز ، الصرامة في تلقين المعلومات بالاعتماد على التمرين والاستظهار الآليين وعلى الامتحانات ، مع إهمال للتفكير المبدع والابتكار وللتوجيه الذاتي وللقدرة على الحكم والتمييز بين القيم المختلفة .

ونجمل فيما يلي بعض الاثار السيئة والنتائج الوخيمة التي اقتضتها طبيعة ذلك النظام في التعليم :

أ ـ صعوبة الامتحانات العامة :

فالامتحانات العامة التي يخضع لها الطلاب في نهاية الدراسة الابتدائية والتي تديرها وزارة المعارف وتحتم على الطلاب اجتيازها لالتحاقهم بالدراسة المتوسطة ، سيئة من سيئات النظام الضيق الذي تجري وفقه معارف العراق. وهي تتحكم في كل ناحية من نواحي العملية التربوية ، وفيها يتركز اهتمام الطلاب والمعلمين ، وللتفوق فيها تنصرف جميع جهودهم ، بدلا من الاهتمام بأمور اكثر قيمة ، كنماء الشخصية وتطورها والتدرب على المعيشة السليمة الحقة .

ب ـ تأخر الطلبة في التحصيل :

إن ثمة عدداً كبيراً من الطلاب في الدراسة الابتدائية يتأخرون في تحصيلهم ويكتب عليهم أن يعيدوا صفوفهم مما يخلّف فيهم اضراراً نفسية بالغة عدا ضياع النفقات وحرمان الاطفال الاخرين من أن يحلوا محلهم فيفيدوا من فرص التعليم المحدودة . وقد تكون من بعض أسباب هذا التأخر صعوبة ما تفرضه المناهج في المواضيع المتعددة ، وتشدد الهيئات التعليمية في الامتحانات العامة كي يضمنوا ان لا يتقدم الضعفاء من الطلاب الى الامتحانات العامة فيسيئوا الى نتائج مدارسهم فيها .

ج ـ سوء دوام الطلاب وقصره :

إن سوء الدوام وقصر مدته أحدى نواحي الضعف السائدة

في مدارس العراق . وازدحام المناهج بمواد لا تتصل بحاجات الطلاب واولاعهم وقدراتهم سبب من اسباب ذلك السوء في الدوام .

الدراسة المتوسطة والأعدادية

تتلو الدراسة الابتدائيـــة الدراسة المتوسطة فالدراسة الاعدادية ، والتفريق بين هـاتين تفريق في الدرجة لا في النوع . ووظائف تلك المدراس ، تتألف ، كما يبدو ، من تدريب الفتيان واختيار الصالحين منهم للقيـــادة الاجتماعية والفكرية فيما بعد ، ومن تهيئة قسم منهم للوظائف الحكومية او للدراسة العالية في كليات الحقوق والطب والتعليم والهندسة .

ويصدق في الدراسة المتوسطة والاعدادية ، مـا ذكرناه عن الدراسة الابتدائية من انعدام فلسفه تربوية تقوم عليها منـاهج تلك المدارس . يضاف الى ذلك ، ما عليه اغلب مدرسيها من عوز في الروح المهنية ، وقصور في فهم وظيفة التعليم وتقدير تبعاتها . فاذا صح ان يكون الشوق الذي يبديه المدرسون في تنمية الروح الاجتماعيـــة المدرسية وفي الاهتمام بالاعمال « اللاصفية » وما يشبه ذلك من أمور تدل على رعاية المدرسين للمصلحة العامـة وعملهم لخير الفتيان في طور المراهقة ، مقياساً لتعلقهم بمهنتهم وحبهم لها ، فلن ينجو بينهم من اللائمة إلا القليل النادر لانصرافهم عن تلك الأمور المهمة ، واقتصارهم على مجرد تلقين المعلومات . وتبدو على

الكثير منهم نزعة « الفردية » والوقوف بعيداً عن الفاعليات المدرسية العامة وعن الروح الاجتماعية وعدم المساهمة فيها . وهـذه ، على العموم ، حال الطلاب انفسهم ايضاً - فهم يقصرون اهتمامهم على الدراسة العلمية النظرية ويرضون زهوهم في التفوق فيها ، من دون ان يعملوا على نماء الروح الاجتماعية او يساهموا في الخدمات العامة .

وهذه الحال السيئة تحمل المرء على ان يلقي اللوم والتبعة في ذلك كله على نظام التعليم نفسه ، لتقصيره في تأكيد المثل الاجتماعية وتقرير اهميتها فلو أنه وفاهـا تلك الأهمية ورسم خطة تحقيقهـا ، لكان في ذلك باعث للمدرسين على القيام بواجبات مهنتهم الحقة ، ومعين لهم في تمييز المعايير الصحيحة واتباعها .

المنهج

ويشبه منهج الدراسة المتوسطة والاعدادية منهج الدراسة الابتدائية ، في صعوبة مقرراته وعدم التنويع والتغيير فيها وفي ازدحامه بالموضوعات المختلفة كما سيتضح ذلك من الجدول الآتي في توزيعها . اما المبدأ الذي يبدو أن تلك المناهج تقوم عليه فهو مبدأ الترويض العقلي وما يفرضه من إمكان ترقية المدارك من طريق دراسة اللغات والرياضيات ومن إمكان انتقال آثار التدريب . وعلى هـذا يُعتقد ان دراسة تلك المواد دراسة متقنـة تؤدي الى قوة التفكير وتكفل

للطالب النجاح في أية جهة يختارها للعيش والعمل فيما بعد . ومما يؤيد زعمنا كثرة موضوعات الدراسة التي تفرضها تلك المناهج ، وخاصة موضوعات اللغات والرياضيات .

جدول توزيع المواضيع في الدراسة المتوسطة العامة [1]

الموضوع	الصف الاول	الصف الثاني	الصف الثالث
الديانة	١	١	
اللغة العربية	٧	٧	٦
اللغة الانكليزية	٨	٧	٦
التاريخ	٢	٢	٣
الجغرافية	٢	٢	٢
الحساب	٤	٢	
الجبر		٢	٤
الهندسة (المستوية)	٢	٢	٢
مبادىء العلوم	٤		
الفيزياء		٤	
الكيمياء		٢	
التاريخ الطبيعي			٦
مسك الدفاتر			٢
الرسم	٢	١	١
المجموع	٣٢	٣٢	٣٢

(١) هذا الجدول والجداول التالية تمثل توزيع الدروس كما كانت عليه سنة ١٩٣٨ – ١٩٣٩ .

جدول توزيع المواضيع في الدراسة الاعدادية
(الفرع العلمي)

الموضوع	الصف الاول	الصف الثاني
اللغة العربية	٤	٣
اللغة الانكليزية	٧	٦
اللغة الثالثة	٥	٥
التاريخ الاوربي الحديث		٣
الجبر	٣	
الهندسة المجسمة		٣
المثلثات	٣	
الفيزياء		٥
الكيمياء	٥	
علم الحيوان	٤	
علم النبات		٣
الفسلجة والصحة		٢
العلوم العسكرية		١
الرسم	١	١
الرياضة والتدريب العسكري	٢	٣
المجموع	٣٤	٣٥

جدول توزيع المواضيع في الدراسة الاعدادية
(القسم الادبي)

الموضوع	الصف الاول	الصف الثاني
اللغة العربية	٦	٦
اللغة الانكليزية	٧	٦
اللغة الثالثة	٥	٥
التاريخ الاوربي الحديث		٣
تاريخ الشرق الاوسط الحديث		٣
تاريخ الحضارة الاسلامية	٣	
الاقتصاد		٣
الجغرافية الاقتصادية	٣	
الرياضيات العامة	٢	٢
الكيمياء	٥	
الفسلجة والصحة		٢
العلوم العسكرية		١
الرسم	١	١
الرياضة والتدريب العسكري	٢	٣
المجموع	٣٦	٣٥

جدول توزيع المواضيع للدراسة الاعدادية

(الفرع التجاري)

الموضوع	الصف الاول	الصف الثاني
اللغة العربية	٤	٣
اللغة الانكليزية	٧	٦
اللغة الثالثة	٥	٥
التاريخ الاوروبي الحديث		٣
الاقتصاد		٣
الجغرافية الاقتصادية	٣	
الاعمال التجارية	٢	
مسك الدفاتر	٣	٣
الحساب التجاري	٢	١
الكيمياء العامة	٥	
الكيمياء الصناعية		٣
الفسلجة والصحة		٢
الطبع على الآلة	٢	٢
العلوم العسكرية		١
الرسم	١	١
الرياضة والتدريب العسكري	٢	٣
المجموع	٣٦	٣٦

تعليقات على الدراستين المتوسطة والاعدادية

أ ـ مفهوم التربية السائد في هاتين الدراستين مفهوم يقصرها على ناحية التعليم منهـا تقريباً ، ويصرف الاهتمام لدراسة العـلوم والاداب دراسة نظرية جرياً وراء المثل

الكلاسيكي الذي يرمي لتطور الذهن وتقوية التفكير وتأثراً به . وقد نجد بعض مواضيع تتجه للدعوة للكفاية الاجتماعية وللعمل على بنائها . ولكنها تقصر عن تحقيق ما يراد بها لما يتخذ في تدريسها من طرق تقليدية نظرية .

وطلاب المدارس الثانوية ومدرسوها الى حد ما ، ليسوا على علم تام بما تحتاجه بلادهم وتطالبهم به . وهم لا يصدرون في دراستهم عن تمحيص وفهم لاحوال بيئاتهم المادية والاجتماعية واستعراض لثقافة بلادهم ووقوف على مقوماتها وتناولها بالنقد والتحليل – لتتم لهم من كل ذلك الاستفادة من كوامن النشاط فيها واكتشاف نواحي القوة والضعف فيزيلوا دواعي الغموض والاضطراب ويوجهوها وجهة صحيحة مستقيمة .

ب – ما يدرس من المواضيع لا يفي بحاجات الشباب العراقي ولا يعينه على حل ما يعترضه من مشاكل ، فهي مواضيع ليست بذات صلة مباشرة بحياتهم .

ج – لا تنتظم المواضيع المختلفة في وحدات تدور حول مبادىء فلسفية اجتماعية ، أو نظرات علمية في الحياة ، وهي لهذا لا تثير في الشبان التفكير العميق أو تبعثهم على التأمل والاستقصاء وانما تسلمهم لما هم عليه الان من الاضطراب والضعف وفقدان الثقة والاطمئنان .

وتدريس العلوم وفق الطرق التقليدية التي تجري في تنظيم منطقي محض ، لم يؤد بالطلاب الى فهم نظريتين

مختلفتين في الحياة والى التمييز بينهما : نظرة تقحم شؤون الحياة الاخرى وتجعل لها أثراً بيناً في تصريف هذه الحياة الدنيا ، ونظرة لا تقيم احكامها إلا على اعتبارات عملية تتصل بحياة واحدة ، وما يتبع كلا من هاتين النظرتين من المعايير والقيم . فلم يتسع لهم وقد عجزوا عن ذلك الفهم والتمييز أن يحرروا عقولهم واذهانهم من الخرافات والأوهام .

د ـ أما العلوم الاجتماعية فهي لا تعطيهم بصراً وبعد نظر بميزات ثقافة بلادهم ولا بما يعترضهم من مشاكل اجتماعية ، ولا تهديهم الى تقدير لها . وهي لا تكشف للتلاميذ من أحوال بلادهم ما يعينهم على فهم حقيقة فترة الانتقال هذه التي تجتازها تلك البلاد ومعرفة أهمية تلك الفترة من ناحية التبدل الاجتماعي والتقدم . وهم على جهل فاضح بالنظريات الاجتماعية وبرامجها وغاياتها .

هـ ـ أما اللغات فيقوم تدريسها على أساس تقسيمها الى فروع مثل : قواعد النحو والصرف ، والقراءة ، والخطابة ، والانشاء ، والأدب . وقد يكون هذا تقسيماً منطقياً ، ولكنه ليس بالتقسيم التربوي ولا بالتقسيم القائم على وحدة عضوية شاملة بين الفروع .

ولا يُلتفت في تدريس اللغات الى توضيح روح ثقافة الأمة المدروسة لغتها ، وتمييز آدابها والدراية بخصائصها . والقول بان تدريس الفروع المختلفة في اللغة على تلك الصورة يفقدها

وحدتها العضوية يصح أيضاً فيما يخص تدريس المواضيع العلمية والاجتماعية .

و – وقد ادخل حديثاً تجديد في النظام يتيح للطلاب بموجبه انتخاب مواضيع في دراستهم دون اخرى كما يظهر من جداول توزيع المواضيع في الفروع المختلفة ، وتلك خطوة في سبيل زيادة الحرية في التعليم ، ولكنها لم يصحبها ارشاد وتوجيه جدي للطلاب يعينهم في اكتشاف قابلياتهم واشواقهم الحقيقية ، ليكون اختيارهم للمواضيع المختلفة مبنياً على أساس من ذلك الاكتشاف .

ز – إن مواضيع الفروع المختلفة ، باستثناء الفرع التجاري مواضيع نظرية محدودة العدد ، لا تتمايز بعضها من بعض تمايزاً تاماً . وكان يحسن أن يحتوي المنهج مواد اساسية ، تشترك فيها جميع الفروع (core curriculum) ، ومواد متمايزة ، تختلف من فرع لآخر ، لتفي بالقابليات والرغبات المختلفة من طالب لآخر .

ح – ولا تهتم تلك المناهج بالأعمال « اللاصفية » ، ولا بتشجيع الاشواق والأولاع أو « الهوايات » المختلفة عند الطلاب والعمل على نمائها ، ولا بدراسة البيئات والمجتمعات المحلية والمساهمة في الخدمات الاجتماعية . والمدارس الثانوية تقصر عن أن تكون نموذجاً للحياة الاجتماعية الصالحة ، ولا تعنى بدراسة المعيشة الديمقراطية وتناولها بالبحث والتحليل .

ط – والمكتبات والمختبرات فيها فقيرة لا يتهيأ فيها

الاستقصاء والبحث المستقـــل ، فينشأ الطلاب ولم يتعودوا المطالعة العامة ، الخارجة عن نطاق الكتب المقررة ، ولا الطريقة العلمية .

ي - ويعوز الكثير من المدرسين الاعداد المهني المتقن ، وينقصهم الاهتداء بفلسفات اجتماعية واضحة مرشدة .

معاهد اعداد المعلمين في العراق

في العراق خمسة [1] معاهد لتدريب المعلمين ، وكلها في بغداد أو ضواحيها ، والدراسة فيها مجانية ، بما في ذلك نفقات السكن والمعيشة في الاقسام الداخلية . ويحسن انتخاب المدرسين فيها نوعاً ، وهي مزودة باللوازم الى درجة لا بأس بها . ولكل منها مدرسة تطبيقية .

وهي على مستويات تتراوح بين مستوى الدراسة الثانوية ، كما هي الحال في دار المعلمين الريفية ودار المعلمات الاولية ، الى مستوى ما دون الكلية (Junior college) ، وذلك في دار المعلمين ودار المعلمات الابتدائية ، ثم الى مستوى الكلية في دار المعلمين العالية التي تعد المدرسين للمدارس المتوسطة والاعدادية . (والدراسة في هذه مختلطة وقد بلغ عدد الطالبات

---

(١) نشأت بعد هذا التاريخ مدرستان ريفيتان لاعداد المعلمين احداهما في بعقوبة والأخرى في المحاويل . وتسمى وزارة المعارف الى الاكثار من دور المعلمين والمعلمات في سائر انحاء العراق ، كما انشىء معهد للمعلمات باسم الملكة عالية .

فيها اكثر من مائة) وفي معهد الملكة عالية الذي يعد المعلمات للمتوسطات. والصفوف فيها باستثناء دار المعلمين الريفية، وعدد الطلاب فيها يصل الى بضع مئات، غير مزدحمة، ومع ذلك فلا يتهيأ فيها التتبع الخاص والتوجيه الشخصي، وانما يتم اعداد الطلاب فيها بالجملة.

واحدى المزايا المهمة لمعاهد اعداد المعلمين العراقية هي أن مناهجها متطورة متغيرة تسمح بالتجديد وتتسع للحرية في النمو، فهي مناهج تضع الوزارة حدودها العامة وتترك للمدرس فيها حرية التصرف في استعمال ما يراه مناسباً من الطرق وفي تفسير المادة وتفاصيلها، وتنظيمهـــا على الهيئة الملائمة. ويتسع لمديريها وهيئاتها، على الضد مما هو جار في المدارس الابتدائية والثانوية، أن يدخلوا في مناهجها ما يرونه صالحاً من التغييرات، وذلك بموافقة مديرية التربية والتدريس في وزارة المعارف.

ومع ذلك فمناهجهـــا مبنية على أساس فصل المواضيع المختلفة، ولكن الهيئات فيهـا تحاول أن تعوّض من تلك المساوىء بما تدخله من العمل في الحقول وغيرها من الأمور العملية التي تتصل بالصحة وبالخدمات الاجتماعية العـامة، في اعمال « لاصفية ». ويزداد الميل فيها الى الزراعـة العملية والى دراسة الاحوال الاقتصادية والاجتماعية، الريفية منهـا خـاصة، والأمور الصحية، وإن كان يعوز ذلك التنظيم المتقن الواسع.

واذا استثنينا دار المعلمين العالية وهي تجري على اساس

تدريس المواد المهمة لجميع الطلاب وتترك لهم فوق ذلك حرية اختيار جهة التخصص من بين فروع مختلفة كفرع التربية والتفتيش ، وفرع العلوم الاجتماعيـــة والآداب ، وفرع العلوم الطبيعية والرياضيات ، وفرع الرياضة البدنية والفنون الجميلة ، فليس امام الطلاب في المعاهد الاخرى مجال للاختيار والتخصص ، والطلاب في اي معهد منها يدرسون جميعـــاً نمطاً واحداً من المواد من دون تنويع او تغيير يفي بالاولاع والقابليات المختلفة بينهم ..

والكثير من مدرسي تلك المعاهد لم يعدوا إعداداً مهنياً خاصاً . وهم ، احسن مـــا يكونون ، مدرسون قديرون في تدريس مواضيعهم الخاصة . ولذلك فمسؤولية اعداد الطلاب للتدريس تقع على عاتق مدرسي التربية ومديري المعـاهد ، وهؤلاء في الغالب قد وفقوا الى إعداد مهني كاف ..

وعلى ذلك فلا يتلقى الطلاب المواضيع المختلفة متبعاً فيها الطرق التربوية المناسبة ، بل يدرسون طرق التدريس واصوله مع مدرسي التربية فقط .

« جدول ١ توزيع المواضيع في دار المعلمين الابتدائية »

الموضوع	السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة
الديانة	١	١	
اللغة العربية	٥	٤	٣
اللغة الانكليزية	٥	٥	٣
الرياضيات	٢	٢	١
التاريخ	٣	٢	
الجغرافية	٢	٢	
المعلومات المدنية والاجتماعية			٣
الكيمياء	٤		
التاريخ الطبيعي		٣	
الفسلجة والصحة والاسعافات		٢	٥
الاعمال اليدوية	٤	٤	٢
الفلاحة « البستنة »			٣
الرياضة والتدريب العسكري	٢	٢	٢
الاناشيد والموسيقى	٢	٢	٢
الرسم والخط	٢	٢	٢
التربية وعلم النفس واصول التدريس	٢	٣	٨
المجموع	٣٤	٣٤	٣٤

(١) ان هذه الجداول تمثل توزيع الدروس كما كانت في سنة ١٩٣٨ – ١٩٣٩ . وقد ادخلت عليها ، منذ ذلك العهد ، تعديلات عديدة ، كما انشئت بدار المعلمين الابتدائية صفوف جديدة تقبل متخرجي الثانويات وتحضرهم بعد دراسة سنتين لمستوى ما يُعرف في المصطلح الاميركي بـ Junior College .

توزيع [1] الدروس في دار المعلمين الريفية

« مستوى المدرسة الثانوية »

الموضوع	السنة الاولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
الديانة	١	١	١	
اللغة العربية	٥	٤	٤	٣
اللغة الانكليزية	٤	٤	٤	٤
التاريخ	٢	٢		
الجغرافية	٢	٣	٢	
الاجتماع				٣
الحساب واوليات الجبر	٤	٣		
الهندسة والمساحة		٢	٣	
التاريخ الطبيعي	٣			
الفسلجة والصحة			٢	٢
الكيمياء		٣		
الفيزياء			٣	
العلوم				٢
التربية وعلم النفس واصول التدريس			٣	٨
الزراعة	٢	٢	٢	٢
الخط	١			
الرسم	٢	٢	٢	
الرياضة والتدريب العسكري والنشيد	٢	٢	٢	٤
الزراعة العملية	٤	٤	٥	٤
الاعمال اليدوية	٤	٤	٣	
الاسعاف الصحي والصحية				٤
المجموع	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦

(١) ان هـذا الجدول يمثل توزيع الدروس كما كانـت في سنة ١٩٣٨ – ١٩٣٩ . وقد دخلت عليها منذ ذلك العهد بعض التعديلات كما جعل عدد الصفوف خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية .

منهج [1] دار المعلمين العالية

فرع الآداب : ابتداء من ١٩٤٥ – ١٩٤٦

الموضوع	التحضيري	الاول	الثاني	الثالث	الرابع	المجموع
اللغة العربية	٧	٨	٧	٨	٨	٣٨
اللغة الانكليزية	٦	٣	٣	٣	٠	١٥
علم النفس	٠	٠	٣	٤	٢	٩
التربية	٠	٠	٥	٤	٧	١٦
البيولوجيا	٠	٣	٠	٠	٠	٣
الاخلاق	٠	٠	٠	٠	١	١
الصحة	٠	٢	٠	٠	٠	٢
التاريخ القديم	٤	٠	٠	٠	٠	٤
التاريخ الحديث	٤	٠	٠	٠	٠	٤
الجغرافيا	٤	٢	٠	٠	٠	٦
التاريخ العربي	٠	٤	٤	٠	٠	٨
الافرنسية او اللاتينية	٠	٣	٣	٣	٣	١٢
الرياضيات العامة	٣	٠	٠	٠	٠	٣
المجموع	٣٨	٣٥	٣٥	٣٣	٢١	١٣١

(١) تمثل هذه الجداول توزيع الدروس في دار المعلمين العالية كما هي في الوقت الحاضر تقريباً . ويتبين منها ان هـذه الدار تقسم بعد الصف التحضيري الى خمسة فروع تخصصية كما يلاحظ ان هناك بعض الموضوعات الاساسية المشتركة بين جميع الفروع كاللغات والتاريخ والدروس المهنية وان دروس التربيـة والتعليم والتطبيقات التدريسية تستغرق حوالي ٢٥ بالمائة من مجموع ساعات التدريس العامة .

فرع العلوم الاجتماعية [1]

ابتداء من ١٩٤٥ — ١٩٤٦

الموضوع	التحضيري	الاول	الثاني	الثالث		الرابع			المجموع		
				ع	ح	ع	ح	ع ، ح	ع	ح	ع ، ح
اللغة العربية	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٧
اللغة الانكليزية	٦	٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١١	٠	١١
علم النفس	٠	٠	٣	٢	٢	٢	٢	٢	٩	٠	٩
التربية	٠	٠	٥	٢	٢	٧	٧	٧	١٦	٠	١٦
البيولوجية	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٣
الرياضيات العامة	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٣
الاخلاق	٠	٠	٠	٠	٠	١	١	١	١	١	١
الصحة	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٢
التاريخ القديم	٢	٠	٠	٣	٣	٢	٢	٢	٧	٠	٧
التاريخ الحديث	٢	٢	٥	٠	٦	٠	٦	٠	١٣	١٢	٢٥
التاريخ العربي	٠	٢	٥	٢	٠	٠	٦	٠	٩	٠	٩
الجغرافيا	٢	٥	٠	٠	٦	٠	٠	٠	١٣	١٣	٢٦
جغرافية البلاد العربية والعراق	٠	٠	٠	٣	٣	٠	٠	٠	٣	٣	٦
الاقتصاد	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٢	٢
النظم السياسية	٠	٠	٠	٢	٢	٠	٠	٠	٢	٢	٤
الاجتماع	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
المجموع	٢٨	٢٣	٢٣	٢٢	٢٢	٢٢	٢١	٢١	١١٧	١١٧	١١٧

(١) ان الرمز «ع» يدل على التاريخ العربي ، و «ح» على التاريخ الاوربي الحديث و «ج» على الجغرافية .

فرع الكيمياء وعلوم الحياة [1]

ابتداء من ١٩٤٥ - ١٩٤٦

الموضوع	التحضيري	الاول	الثاني	الثالث		الرابع	
				ك	ب	ك	ب
اللغة العربية	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠
اللغة الانكليزية	٦	٥	٠	٠	٠	٠	٠
علم النفس	٠	٠	٣	٢	٢	٠	٠
التربية	٠	٠	٥	٢	٢	٧	٧
الكيمياء	٢	٥	٣	١٠	٢	١٢	٠
الفيزياء	٢	٢	٠	٠	٠	٠	٠
البيولوجيا	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠
النظريات البيولوجية	٠	٠	٠	٢	٢	٠	٠
الحيوان	٠	٢	٣	٣	٣	٠	٣
النبات	٠	٢	٣	٣	٣	٠	٣
الرياضيات	٧	٣	٠	٠	٠	٠	٠
تشريح وفسلجة وصحة	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٣
اخلاق	٠	٠	٠	٠	٠	١	١
المجموع	٢٨	٢٨	٢٦	٢٦	٢٦	٢٣	٢٣

(١) ان الرمز « ك » يدل على الكيمياء ، والرمز « ب » يدل على البيولوجيا .

فرع الفيزياء والرياضيات [1]

ابتداء من ١٩٤٥ – ١٩٤٦

الموضوع	التحضيري الاول	الثاني	الثالث	الرابع		
				ر	ف	
اللغة العربية	٧	٠	٠	٠	٠	
اللغة الانكليزية	٦	٠	٠	٠	٠	
علم النفس	٠	٠	٢	٠	٠	
التربية	٠	٠	٢	٢	٧	
البيولوجيا	٠	٢	٠	٠	٠	
الرياضيات	٧	٣	٣	٣	٣	
الفيزياء	٢	٢	٧	٠	٧	
الميكانيك	٠	٢	٢	٢	٢	
الكيمياء	٢	٥	٠	٠	٠	
الصحة	٠	٠	٠	٠	٠	
الاخلاق	٠	٠	٠	١	١	
المجموع	٢٨	٢٦	٢٥	١٨	٢٢	

(١) ان الرمز « ر » يدل على الرياضيات ، والرمز « ف » يدل على الفيزياء .

فرع اللغة الأنكليزية

ابتداء من ١٩٤٥ — ١٩٤٦

الموضوع	التحضيري	الاول	الثاني	الثالث	الرابع	المجموع
اللغة العربية	٧	٣	٣	٣	٠	١٦
الانكليزية مع التاريخ البريطاني	٦	١٠(٣+٨)	١٠(٣+٨)	١٠(٣+٨)	٨	٦٦
البيولوجيا	٠	٣	٠	٠	٠	٣
علم النفس	٠	٠	٣	٦	٣	٩
التربية والتطبيقات	٠	٠	٥	٦	٧	١٦
الصحة	٠	٢	٠	٠	٠	٣
الاخلاق	٠	٠	٠	٠	١	١
التاريخ القديم	٦	٠	٠	٠	٠	٦
التاريخ الحديث	٦	٠	٠	٠	٠	٦
الرياضيات العامة	٣	٠	٠	٠	٠	٣
الجغرافيا	٦	٣	٠	٠	٠	٦
الترجمة	٠	١	١	٠	٠	٢
الافرنسية او اللاتينية	٠	٣	٣	٣	٣	١٢
المجموع	٣٨	٣٦	٣٥	٣٦	٢١	١٢٢

نقد موجز لمعاهد إعداد المعلمين

أ ــ الادارة والتنظيم :

الحق أن الادارة في هذه المعاهد تجري وفق أساليب اكثر ديمقراطية مما هي عليه المدارس الابتدائية والثانوية . واعضاء هيئاتها وطلابها يساهمون في الفاعليات المدرسية ، وان كانت هذه الجهود التعاونية مقضياً عليها أول ما تناط ادارة معهد من تلك المعاهد بمدير لم يعد إعداداً مهنياً لهذا الغرض ، خاصة اذا كان ممن يرون ضرورة الصرامة في النظام ولا يؤمنون باساليب التربية التقدمية . وبعض مديريها على علم بضرورة تهيئة محيط تعليمي حق ، ينفسح فيه المجال للنمو والتطور لكل من التلاميذ والاساتذة ، على انهم كثيراً ما يقصرون عن بلوغ تلك المرتبة من الفهم ونفاذ النظر الذي يبعث الأدارة على أن تستعين بمجهود جميع العاملين في المعهد في سبيل تنمية فلسفة اجتماعية وتيسير معيشة ديمقراطية حقة ، وفي سبيل بث شعور الاعتزاز بالمهنة التعليمية والاهتمام بمشاكلها بما يرفع مستواها ويعزز سندها .

وخير ما تكون عليه الادارة في المعهد ، أن تتضافر جهودها وجهود الهيئة التدريسية مع بعض ممثلين منتخبين من بين جمعيات الطلاب ، ليساهموا جميعاً في شؤون ادارة المعهد وتنظيمه ولتنصرف عنايتهم جميعاً الى ايجاد نظام جديد لأعداد المعلمين في العراق قائم على حاجات البلد ومعتمد على احدث

الاداء في التربية والاجتماع وعلم النفس .

ب ـ المنهج ، الغايات والاهداف :

أما المنهج فيصور ، شأنه شأن المناهج الاخرى التي استعرضناها آنفاً ، النزاع بين المثل المختلفة والنزعات المتضاربة ، وهو لذلك منهج مضطرب مرتبك .

وما لم تكن الغاية الأولى في اعداد المعلمين قائمة على أساس دراسة الحضارة والنظر اليها من ناحية اجتماعية وازالة ما هي عليه من الغموض والارتباك ، ثم العمل لبناء نظام اجتماعي جديد عن طريق نمو شخصيات المتعلمين من ناحيتيها الفردية والاجتماعية ، فهو اعداد لا يعدو ان يكون منصرفاً الى مجرد تحسين اساليب التدريس ، والاهتمام بدراسات نظرية في التربية واصولها ، وهذه حال دور المعلمين في الوقت الحاضر . وما تحتمه وجهة النظر التي ندافع عنها في هذه الرسالة أن يكون اعداد المعلمين قائماً على دراسة ثقافية ومهنية تتصف بالعمق والنفاذ وبالسعة والشمول وتؤدي الى رفع مستوى مهنة التعليم الى مستوى مهنتي الطب والحقوق .

وفي قطر كالعراق حيث لا تملك الدولة من وسائل التثقيف كالصحافة والاذاعة والمسرح إلا وسائل ضعيفة ، يقع واجب بناء الجيل الجديد وبعث قوى الامة وتجديدها على عاتق المعلم الى درجة كبيرة .

ومع ذلك فان من المؤسف ألا تكون أهداف اعداد

المعلمين وتربيتهم اهدافاً واضحة وأن لا يكون هناك من اتفاق تام وتحديد واضح لأمور مهمة مثل معايير التعليم الجيد ومقومات الكفاية فيه ، أو انتخاب الطلاب للمعاهد انتخاباً صحيحاً ، أو واجباتهم في دروس التطبيق وفي نموهم المهني .

ج — ترتيب المنهج :

لم تأخذ مناهج دور المعلمين في العراق بعد شكلها النهائي ، ولا تزال في هيئة تجريبية . وقد أتينا آنفاً على ما في هذه المناهج من مرونة تجعلها قابلة للتعديل والتجديد وعلى ما تنطوي عليه من بعض اهتمام بالنزعة المدنية العملية . ولكنها بعد كل هذا ، لا تزال مناهج مبنية على أساس فصل المواد المختلفة . وهي تحتوي على مواد ثقافية عامة غير مترابطة فيما بينها وليست بذات صلة بمشاكل الحياة العملية ، وعلى دراسات في التربية ، وعلى بضع تجارب عملية في الزراعة والصحة وامثالها .

ويمكن القول إجمالاً ان هذه المناهج لا تدور حول فلسفات خاصة في التربية والحياة ، ولكنها تمثل ذلك المزيج من مثل الثقافة التقليدية بكل ما ينطوي عليه من بلبلة واضطراب . وانها لا تتناول الثقافة العربية ـ الاسلامية ولا فرعها العراقي بدراسة نقدية يقصد بها تقدير مقوماتها والعمل على تقوية عناصرها الصالحة تلك التي تتصل بالحياة الحاضرة وتؤدي الى وفرتها وغناها ، وعلى طرح العناصر البالية التي

لا تجدي في الاحوال الحاضرة . ثم إنها لا تدرس العلوم الطبيعية والاجتماعية واللغات والآداب والفنون ولا المواد المهنية من حيث هي وحدات تتماسك فيها الاجزاء وتتصل ، ولا يتبع في تدريسها ما يوضح صلتها بالحياة الديمقراطية واثرها فيها ، وهي لذلك تقصر عن ان تجعل حياة المتعلمين حياة غنية وافرة في نواحيها الفكرية والاجتماعية والاخلاقية . وأخيراً فانّ تنظيم وتوزيع المواد المهنية لم يتما بعد بصورة صحيحة . وليس هناك تسهيلات كافية في المواد والمختبرات وقاعات التطبيق .

د ــ الطرق :

وما يؤلف مواد الدراسة ، في مذهبنا الثقافي ، انما هو التراث الفكري للجنس ، وأما الطريقة فهي الوجهة التي يتخذها ذلك التراث وما يطرأ عليه من تغيير وتجديد وقيم ليفي باغراض الحياة وشؤونها . ولذلك فلا يمكن انتزاع الطريقة من مقررات علم النفس بصورة مجردة تفصل بينها وبين مواد التجربة التي تنطوي عليها وتباعد بينها وبين النفس الانسانية واعمالها الواقعية . وليس هناك من طريقة صالحة بمفردها ، لا ينازعها في ذلك منازع ، وانما هناك طرق بقدر ما هنالك من مواقف واوضاع خاصة شتى ، يتم فيها تكييف التجارب حتى تبلغ غاياتها الحقة عن طريق التفكير الحصيف السليم . ولذلك لا يجوز أن تحدد الطريقة وتقيد كأنها قاعدة

ميكانيكية ، وهذا يعينه ما تسير عليـــه أغلب معاهد إعداد المعلمين .

انتقادات اخرى للمنهج

أ – لا يفي المنهج باشواق وقابليات الطلاب المختلفة ، وهو غير معد ليلائم الفروق الفردية بينهم . وجميع المناهج لمعاهد إعداد المعلمين ، اذا استثنينا منهج دار المعلمين العالية وهو بصورة نسبية خيرها بناء وترتيباً ، موضوعة لجميع الطلاب من دون تفريق أو تمييز ، لتفي بمستوى واحد من القدرة ، وتلائم نمطاً متماثلاً مـــن الشوق والرغبات مفروضاً فرضاً . فهي لذلك لا تفي بحاجات الطلاب المختلفة وقابلياتهم المتباينة .

ب – لم تجر تلك المناهج مع التقدم الحديث في التربية وعلم النفس . فلا يُفهم من التربية انها فاعليـــة نشيطة متحركة ترمي الى تجـــديد مستمر في الخبرات والتجارب وتكييفها للاحوال والأوضاع المتغيرة دوماً بل يُقتصر على ناحية سلبية تجردها من القصد والغاية .

وعلم النفس العضوي Organismic psychology الذي يرى في الفرد وحـــدة تامة تعمل بكليتها للتوفيق بين ذلك الفرد وبين المحيط واحواله ويكون فيه الادراك والتفكير والوجدان والحركة العضلية ووظائف الغدد ، اعمالا تتعاون كلها وتأتي من حيث هي اجزاء لا يمكن فصلها من وحدة شاملة ، مضاد لتلك النظرة العتيقة في علم النفس القائمة على التجزئة

والتي ترد كل فاعلية الى تلك القاعدة الالية من الصلة بين المنبة والاستجابة أو الرجع أو ما يعرف بـ (S - R bond) في علم النفس وقوانين التعلّم .

إن ما يهتم به علم النفس الحديث انما هو الفروق الفردية وقياساتها ، وتحديد الصعوبات الخاصة في التعلم ودراسة الشذوذ وعجز المرء عن التوفيق بين نفسه وبين محيطه ، واستكشاف القابليات الخاصة ، وتوضيح البواعث وتفسيرها واخيراً توجيه المرء وارشاده في السلوك .

ولكن مع الاسف لا تجد هذه الآراء والنظريات الحديثة سبيلاً الى مناهج دور المعلمين ، ولا يستفيد منها الطلاب وهم في طور الاستعداد لامتهان التعليم والقيام بتبعاته .

ج – لا تعير المناهج أهمية تذكر لمساعدة الطلاب في استيفاء التوازن في انفعالاتهم وعواطفهم وفي تكوين اتجاهاتهم الاجتماعية . وتلك أمور اكثر أهمية بالنسبة الى الشبان من مجرد التطور الفكري . والحق ان موضوع الصحة العقلية غير معروف في تلك المعاهد .

اقتراحات حول إيجاد برنامج جديد لإعداد المعلمين في العراق

ليس من عامل اجتماعي ، بما في ذلك البيت والصحافة والاذاعة ، يمكن أن يحل محل المدرسة في جهودها المنظمة وخططها المرسومة لأيجاد تغييرات مرغوب فيها في الطبيعة الانسانية أو في المعيشة الاجتماعية . والأثر الذي تتركه حياة مدرسية ناجحة وطويلة يفوق ما يتركه البيت . وان بين البيوت المتأخرة ما يجعل عمل المدرسة مضاعفاً حقاً ، ولكنها أقصر من أن تجعل جهود المدرسة جهوداً ميئوساً منها أو ان تخلق من الصعاب ما لا يمكن الحياة المدرسية التغلب عليه . فالمدرسة هي خير وسيلة اجتماعية واكثرها كفاية في ايجاد محيط طبيعي يتعرف الطلاب فيه بصورة طبيعية بالقيم الروحية التي تنطوي عليها ثقافة بلادهم ويعودون قادرين على فهمها وتجديدها عن طريق اعدادهم فرديا واجتماعياً . وتلك دلالة واضحة على أهمية الواجب الملقى على عاتق المعلم من حيث هو شخص

مسؤول في المجتمع ، يتولى أمر توجيه الشباب وتربيتهم ويغذيهم بخير ما يحتفظ به ذلك المجتمع من تراث بما يحملهم على المحافظة عليه وتنميته . وهذه النظرة تحتم الا تكون العناية في اعداد المعلمين منصرفة الى ما يملكون من معارف أو يتقنون من اساليب وطرق في التعليم فحسب ، على أهمية هذه الوسائل ، بل الى نواح اكثر أهمية وأشد عمقاً - الى تحسين الحياة وغناها ، والى الولاء والعمل وفق مثال اجتماعي أعلى ... فما اقل قيمة المعرفة التي لا تترك أثراً في حياة المرء وفي نظرته وفلسفته ولا تجدي في تحسين معيشته ومعيشة الآخرين وغناها ..

وعلى ذلك فواجب المعلم المهم أن يفهم ان التربية في حقيقتها تجديد لخبرات الحياة الواقعية ، وان يكون على يقين من أن ما يعلّمه يترك أثراً بيناً في صميم الحياة اليومية ويعمل في غناها وخصبها ويساعد في حل مشاكلها وتحسين أحوالها .

ومن أجل تلك الغاية عليه ان يعرف مزايا ثقافته ومقوماتها وأن يقف على أحوال المجتمع الذي هو فيه وعلى اساليب معيشته وقوفاً تاماً وأن يجعل من المدرسة أداة صالحة في تحسين ذلك المجتمع وتقدمه .

ان الفكرة الرئيسية التي ندعو لها في صدد إعداد المعلمين هي : أن يكون ذلك الاعداد قائماً على اساس توضيح الثقافة العربية الأسلامية وازالة ما فيها من الاضطراب

والغموض . وقد وجدنا ان هذه الثقافة قد ضمت الى نفسها خلال أدوار تطورها عناصر لم توفق لأن تنسجم بعضها مع بعض ، وأن عدم الانسجام هـذا بين العناصر المختلفة هو الأصل فيما يعتريها من الارتباك والحيرة وفقدان الاتجاه المتزن المستقيم . فالاسلام كما يعرفه الجمهور وتقره الانظمة التي لحقت به في صراع مستمر صريح مع روح الاسلام الحرة الحقة ومع القومية من حيث هي مظهر من مظاهر النزعة المدنية . وقد أشرنا الى أن المثل العليا الثلاثة الرئيسية – المثل الديني والمثل الكلاسيكي العقلي والمثل المدني – تتنازع فيما بينها على احتجان ولاء القوم في العراق ومشايعتهم ، مما يؤدي الى فرقة بعيدة المدى في الرأي العام بين العراقيين . ولا يقف الصراع عند حدوده الظاهرة ، بل يتعداها الى تلك الامور المهمة التي تتصل بالمعايير والقيم الاخلاقية وما يلحقها من مشاكل وآراء حول طبيعة الحقيقة والعلم والتقـدم والتجديد الاجتماعي وموقف المرء من هذا العالم وتبعاته فيـه . والرأي المهم الذي نريد ان نؤكده هو ان المثال المدني انما ينتزع معاييره من صميم الحياة اليومية وتجارب المرء فيها – غير متقيد بصلتها بالعالم الآخر أو بالنزعة الكلاسيكية لتمجيد العقل وتهذيبه . وهذا المثال المدني حين يتخذ مظهره الديمقراطي الاجتماعي يعـود مذهباً في الحياة وطريقة في العيش ، ينافس المذهب القـائم على التقشف والزهـد أو المذهب القائم على تمجيد العقل وينقضهما .

وما دام رائدنا توضيح الثقافة وفض ما بين عناصرها من نزاع فلا مفر من ان نجعل أساس حكمنا أن نسأل : هل تجارب الحياة هي مصدر المعايير الأخلاقية ؟ وهل تؤلف الحياة اليومية وغناها المثل الاجتماعي الأعلى الذي يتحكم بسلوك الناس ويوجهه ؟ ولكي يكون اعداد المعلمين سبيلاً صالحة للتحضير والمدنية وقوة مهمة في توجيه المجتمع العراقي ولكي يتهيأ له ان يقوم بواجب نقل عناصر الثقافة العراقية الحسنة الى الاجيال الجديدة ، يجب أن يكون قائماً على اساس دراسة تلك الثقافة دراسة متقنة عاملاً في توضيحها وفض ما تنطوي عليه من نزاع وفقاً للمعايير الديمقراطية الاجتماعية الصحيحة . وأول ما يستدعيه مثل هذا البرنامج الديمقراطي لاعداد المعلمين ان يتناول الحياة المدرسية تنظيم جديد يجعل فيها الفرص واسعة للتجارب والمعيشة الديمقراطية وتعود فيها جميع الفعاليات مؤدية الى تلك المعيشة عاملة على غايتها . وهذا يعني ان يتهيأ لكل معلم وهو في طور الاعداد ما يساعده ويأخذ بيده لأن يجعل من حياته حياة غنية نامية ، وليتمكن من ان تكون له الجدة في التفكير والاصالة في الاحكام الاخلاقية والقدرة على تحمل تبعاتها ، وليكون راغباً في التعاون مع الآخرين قادراً على التحكم بسلوكه وفقاً لما تتطلبه هذه الحياة الديمقراطية .

ويجب ان يشارك الطلاب وهم في طور الاعداد للتعليم أساتذتهم في وضع خطط دراساتهم وفي تقدير وتقييم تحصيلهم ،

ليكون ذلك عوناً لهم في ادخال تلك الطرق والأساليب في تدريسهم كطلاب مطبقين أو كمعلمين فيما بعد. ومما يساعد في تحقيق هذا الاتجـــاه في التعليم ان يعتنى بتنظيم دروس المشاهدات والتطبيقات التدريسية العملية تنظيماً محكماً وضمن خطة معينة سواء أكان هذا الاعداد فردياً أم جمعياً.

وما يقوم به هؤلاء الطلاب من اعمـال وفعاليات جمعية، كالرياضة والألعاب واصدار النشرات والمجـــلات المدرسية وتحريرها والسفرات القريبة منها والبعيدة والجمعيـات العلمية والأدبية وادارة النوادي أو المشاريـــع الزراعية التعاونية يجب أن تكون في هيئة تؤدي معها الى غرس روح التعاون والقدرة عـلى توفيق المرء بينه وبين الآخرين والى التسامح واعتياد الشورى والتفكير المشترك في وضع الخطط وأخيراً الى التوجيه الذاتي الحصيف. ولا بد أن يساهم الطلاب بصورة تدريجية في المجلس المدرسي للطلبة وفي لجان الانضباط وفي شؤون المكتبة وفي ادارة المطعم المدرسي وما يشبهه من مؤسسات. ويجب ان تكون الدروس التطبيقية التي يقوم بها هؤلاء الطلاب الذين يعدون للتعليم فرصة فذة لتحقيق المبادىء والطرق الديمقراطية يتهيأ لهم فيهـــا أن يطبقوا جميع الوسائل المؤدية الى نماء شخصيات الأطفال في ناحيتيها – الاجتماعيـة والفردية تحت إشراف وتوجيه أساتذة قديرين. والحق ان هـذه الدروس التطبيقية هي المشكلة الرئيسية التي يجب أن يتناولهـا برنامج إعداد المعلمين بالدرجة الأولى، ويجب أن يتم تنظيمها بحيث

تعود وسيلة لاختبار وتجريب كافة الآراء والمذاهب في التربية والحياة ، من أول فترة التدريب الى نهايتها ، وتتسع لجميع نواحي الملاحظة والبحث والمساهمة الفعلية ، ولا تقتصر على التطبيق الشكلي بل تشمل كافة جوانب التعليم وتجاربه المتنعة .

ويجب أن يوجه الطلاب في فترة الاعداد للتعليم الى كيفية جعل ما يدرسونه من مواد وسائل لزيادة بصرهم بالديمقراطية ، وهذا يستدعي حتما أن يكون نظام تدريبهم منظوراً فيه أولا الى تنميـــة الروح الديمقراطية فيهم أنفسهم ، والى زيادة بصرهم بمزاياها وفهمها فهماً يصبغ نظرتهم للحياة ويوجهها .

ومما يحقق ذلك أن يكون مفهوم الديمقراطية وما يتصل بها من المثل التربوية والنفسية التي تعتبر نتائج حتمية لهـــا كخطط التعليم خلال النشاط الذاتي ، والعمل عـــلى النمو الشامل للطفل ، وكاعتبار التفكير وظيفة ذهنية يراد بها أن تكون وسيلة للتوجيه في الحياة والبصر في شؤونها ، وكمراعاة الفروق الفردية والاهتمام بالنمو الموحـد الشامل للشخصية — أن يكون كل ذلك مواضع للتفكير والدرس ، ليكون ايمانهم بها مبنياً على أساس من الادلة والبراهين ، وليعلموا علماً تاماً ما يتضمنه المثل الديمقراطي الذي يرمي الى توفير الفرص وتكافؤها ، وما هي المقاييس التي يمكن تقديره بواسطتها .

ويحسن أن يعتنى عناية خاصة بعرض الديمقراطية وما يخالفها وينافسها من مثل ونظريات معاً لتتبين بتلك المقارنة محسناتها وتتضح مزاياها .

والحق أن في تطبيق تلك المقاييس الديمقراطية على المجتمع العراقي أو المجتمعات العربية - الاسلامية عامة مجالاً واسعاً لاظهار قصور تلك المجتمعات عن الاستفادة من كنوز ثقافتنا واستخدامها استخداماً يؤثر في الحياة العملية ويزيدها غنى ووفرة .

ولا شك أيضاً ان دراسة المجتمعات المحلية Local communities وما يظهر فيها من نزاع بين المثل المختلفة وتضارب في النزعات المتعددة سبيل ميسورة لفهم الديمقراطية وزيادة البصر بها . على انه يجب ان لا يقف الأمر عند مجرد الدراسة لتلك المجتمعات المحلية ، بل يتعداها الى المساهمة الفعلية عن طريق الخدمات الاجتماعية والارشاد الاجتماعي ، حيث تتهيأ الفرصة لربط المدرسة بالبيئة وتوثيق صلتها بها مما يجعل المدرسة اداة قوية في توسيع حياة طلابها خاصة والمجتمع عامة وزيادة خصبها وغناها .

وأخيراً يجب على الطلاب الذين يراد منهم ان يكونوا معلمين أن يميزوا بين أساليب التدريس العتيقة تلك التي تضيق ذرعاً باللعب وحرية الحركة وبالنشاط الذاتي ومساهمة الاطفال أنفسهم في وضع خطط دراساتهم والتي لا تعرف إلا الارغام والاكراه ، وبين الاساليب الحديثة التي تعتمد على حاجات الاطفال الطبيعية وعلى التجارب الشيقة الملذة لهم ، والتي لا ترى في المعلم إلا مرشداً وموجهاً وتسمح بأقصى ما يمكن من حرية التعبير والابداع والنشاط الذاتي للاطفال .

هذه الاستنتاجات التي انتهينا اليها فيما يخص التنظيم المدرسي وتناول مفهوم الديمقراطية بالدرس والتمحيص والتفسير ليست إلا استنتاجات عامة نحتاج ان نطبقها ولو بصورة تقريبية على نواحي البرنامج الدراسي المختلفة لتنال شيئاً من التخصيص والوضوح . ومن النواحي المهمة لذلك التطبيق ما يتصل بالادارة المدرسية . والحق ان هنالك غلطاً شائعاً حتى بين الطبقات المستنيرة في العراق عن الادارة ، فهم لا يرون فيها إلا عملاً آلياً يمكن أن يقوم به أحد الكتبة أو أي شخص على شيء من المهارة العملية والبداهة السليمة والشخصية القوية ، ويفوتهم ان يعلموا ما تحتاجه الادارة المدرسية ، خاصة في مؤسسات اعداد المعلمين ، من اعداد مهني ودراسة لمختلف النظريات التربوية والفلسفة الاجتماعية وفهم للحضارة ولحاجات المجتمع ودراية بمرافقه وبما يتطلبه من الخدمات ، بالاضافة الى صفات القيادة الحازمة والشخصية القوية . وقد اتسع موضوع الادارة المدرسية اتساعاً عظيما منذ بداية القرن العشرين . فلم يكن لدى الرائدين في هذا الحقل من الدراسة في اميركا ما يقدمونه حين عهد اليهم تدريس الموضوع في معاهد إعداد المعلمين سوى اقتراحات محدودة تتصل بالناحية الآلية من تيسير الفاعليات المدرسية وتوجيهها ، وتستند إلى الملاحظة أو التجربة المباشرة . أما الآن فان من يختص بهذا الموضوع عليه ان يدرس دراسة تفصيلية فلسفة التربية وعلم النفس وفن التوجيه والارشاد وقياس الذكاء وتقدير

الشخصية ، بالاضافة الى دراسة اصول الادارة وما يتصل بالشؤون المالية للمدارس والتعليم .

ومن النتائج المقررة في هذا الصدد ما يأتي :-

١ - ان تكون الادارة متجهة الى تحقيق مثل اجتماعية ومهنية ، وان تسترشد بجميع مناحيها وتبعاتها بتلك المعايير الديمقراطية التي تؤدي الى تطور الفرد ونموه وتعمل على تحقيق المعيشة التعاونية . وأيما ادارة لا تهتم بحاجات الطلاب ومشاكلهم ولا بحاجات المجتمع ومشاكله ولا تجعل من تلك الحاجات أساساً للبرنامج المدرسي والفعاليات المدرسية فهي ادارة لا يمكن أن يقال عنها إنها تؤدي خدمات عامة وتعمل على تحقيق مثل اجتماعية .

٢ - وأول ما تتطلبه الادارة أن يكون من يتولاها على استعداد ورغبة لتمييز القابليات والمهارات المختلفة في الافراد ، ولاسناد المسؤولية في موضعها الحق حيث تكون مطلوبة مرغوباً فيها ، ولتوزيع العمل ولتقدير العمل المتقن والواجب المؤدى على وجهه الاتم تقديراً علنياً . . والادارة الصالحة لا تتصف بالاثرة ، فلا تحتجن العمل لنفسها فتحول دون مساهمة الاعضاء الاخرين .

٣ - ويجب أن تتصرف الادارة إلى إيجاد محيط سليم منقى من الشوائب ، يؤدي الى نمو جميع من يتصلون باعداد المعلمين ، بما في ذلك الطلبة أنفسهم ، وان تعمل على تحسين أساليب التدريس وجعلها محققة للأهداف الاجتماعية والتربوية ،

ومزودة جميع المساهمين في العمل المدرسي بتجارب خصبة غنية تتفق وقابلياتهم وميولهم .

٤ – يجب أن تكون الادارة نشيطة حية مرنة ، لا تقتصر على تفسير ما يطرأ على المجتمع من تغيير بل تتعداه الى استبـــاق الحوادث ورسم ما سيتمخض عنه المجتمع من اتجاهـات ونزعات آخذة هذه بنظر الاعتبـــار في تقرير خطط وبرامج الدراسة .

وعلى ذلك فالصفات المفضلة في الادارة هي المبادهة وحسن التصرف وسعة الحيـــلة في ملاقاة ما يستجد من أوضاع ومشاكل في الحياة .

٥ – والادارة الصالحة لا تهمل تقدير ما وفقت اليه من نجـــاح أو منيت به من فشل ، تاركة ذلك للصدف ، بل تعمد الى مراقبة عسيرة مستمرة لكل ما تقوم به من اعمال ، مقدرة ذلك بالنسبة لما حققته من اهداف واقمت من قيم .

٦ – ويجب أن يؤمن جميـع المتصلين بالمعهد عن يقين تام بأهمية اعداد المعلمين وبحيوية الواجب الملقى عليهم وعظمه . وأي مدير لا يبعث من معه من الهيئة التدريسية على التعاون والتفاني في الواجب وتنفيذ برامج الدراسة على وجهها الأتم وتحقيق اهدافها فهو فاشل حتما .

٧ – ويجب أن يكون بين ما يعهد إلى مدير دار المعلمين من مسؤوليات ما يأتي :–

أ . أن يكون له رأي في تقرير ملاك المؤسسة وانتخاب

الهيئة التدريسية ليضمن بذلك صلاحهم للمهمة ورغبتهم في التعاون معه ، وأن يكون له رأي أيضاً في ترفيعهم وتقدير اعمالهم .

ب . أن يكون له رأي في تقدير ميزانية المؤسسة وفي المراقبة والاشراف على تنفيذها .

ج . وان يعهد اليه بالتعاون مع الهيئة التدريسية امر وضع خطط الدراسة وطرقها ورسم برامجها بما يتمشى والسياسة التعليمية العامة لوزارة المعارف ، ليضمن بذلك مرونة مناهج الدراسة في المعهد ، بما يجعلها تفي بالحاجات الاجتماعية وتحقق ما يتطلبه المثل المدني الاجتماعي وتعمل على نمائه .

وهناك مشكلة مهمة تعترض أي نظام تعليمي ديمقراطي . وعلى الاخص في العراق ، وهي مشكلة اختيار من سيمتهنون التعليم ويدخلون في سلكه . وأهمية الواجب الملقى على المعلم في العراق وعظم تبعاته وتبعات المدرسة نحو المجتمع تتطلب الحيطة في الاختيار والسعي للحصول على خير المتقدمين واكثرهم صلاحاً للمهمة .

ونظراً لأن أغلب الصفات التي يعتمد عليها النجاح في التعليم صفات شخصية كالخلق وكمكونات الشخصية القوية ، وحب المهنة والتفاني فيها ، فليس من السهل تقريرها والتكهن بصلاح الشخص للمهنة بصورة دقيقة وبواسطة اختبارات موضعية .

وليس هناك إلى الآن من اختبارات يصح الاعتماد عليها

والركون اليها في فحص المتقدمين لمهنة التعليم ، وتقرير صلاحهم أو عدمه . وهذا النقص في انعدام المقاييس الدقيقة يرجع الى :

أ - الخلاف حول مقومات النجاح في مهنة التعليم (وقد اضطر بروكنر L. J. Brueckner إلى أن يضع أربعة قياسات لتقدير المعلمين تمثل آراء ونظريات أربع مدارس تربوية . وقد نشرت تلك القياسات مطبعة جامعة مينا سوتا ١٩٢٧ .

ب - ونظراً لهذا الخلاف ، فهناك اعتراضات على استعمال تقدير المفتشين والمشرفين وآرائهم كمقاييس لتعيين كفاية المدرسين التعليمية .

ج - الاعتراض على اتخاذ نواتج التحصيل المدرسي Accomplishm للطلاب دليلاً على الكفاية في التعليم ، نظراً لان اختبارات التحصيل المدرسي لا تقيس الا أقل نتائج التعليم أهمية ، وحتى لو سلم بصحة القياس لكانت نفقات البحث الواسع الشامل الذي لا بد منه كأساس لوضع المقياس عقبة كأداء .

د - ما يبدو من قلة الترابط الوثيق بين نواتج الذكاء وبين النجاح في التعليم فيما بعد .

هـ - صعوبة إيجاد اختبارات صحيحة لقياس الصفات الشخصية التي تتطلبها مهنة التعليم [1] ، على انه لا يصح أن

---

(1) Bagley , William ; Outline , Form M 2 of his Major Course For Teachers.

يستنتج من هذا ان الاختبارات الموضوعية لا يجوز استعمالها في هذا الصدد ، بل انها يجب أن لاتكون المقاييس الوحيدة للقبول في معاهد اعـــداد المعلمين ، ويجب مراعاة مقاييس واعتبارات اخرى بالاضافة اليها .

ويراعى في الوقت الحاضر لقبول الطلاب في دار المعلمين الابتدائية ببغداد ما يلي :

أ – درجات التلميذ في امتحانات الدراسة المتوسطة العامة .

ب – تقرير سري عن أخـــلاق وسلوك الطالب المرشح للتعليم يكتبه مدير المدرسة التي تخرج منها .

ج – كشف صحي عام .

د – المقابلة الشخصية : يختبر فيهـا مدير الدار كل تلميذ على حدة .

ومما تجب اضافته ما يلي :

أن يتم الاختيار من بين الثلث الاول او الربع الاول من خريجي الدراسة المتوسطة في ترتيب التحصيل المدرسي ولو كان هذا سبباً في حرمان بعض ممن قد يصبحون معلمين قـــديرين .

كذلك يجب وضع مقاييس شديدة في اختبـــار سلامة الصحة البدنية والعقلية ، يضاف اليهـا مقابلة شخصية وافية بالغرض ، من قبل لجنـــة من الهيئة التدريسية برئاسة مدير الدار ، تتناول دراسة كل طالب دراسة تفصيلية في أناة قبل أوان التسجيل ، ويمكنها أن تجمع بين ما تصدره من احكام

شخصية وبين نتائج قياسات واختبارات موضوعية متعددة .

والحق انه ولو تم رفض قرابة خمسين بالمئة من المتقدمين لدار المعلمين الابتدائية في بعض السنين ، فان المقبولين فيها لا يصلون عادة مستوى من يتقدم لكلية الطب أو كلية الحقوق فيما يخص الذكاء والطموح والقدرة الاجتماعية .

ويبدو أن ما فيها من دراسة ومعيشة مجانية يجذب اليها خاصة الطلاب الفقراء الذين يأتون من بيئات اجتماعية متأخرة . وما دامت الضرورة لا الحب الصادق والشوق الصحيح للمهنة ، هي التي تدفع بهم الى الالتحاق بالدار ، فلا جرم يعتبر أكثر من يلتحق بها مهنة التعليم سبيلاً ممهدة الى غيرها ، ولا يلبثون في التعليم بالمدارس الابتدائية إلا ريثما ينهون ما يتطلبه ما ابرموا من عقد عند التحاقهم بالدراسة من مدة في الخدمة قصيرة ثم ينصرفون بعدها الى وظائف مدرة أخرى . هذا وما يضاف اليه من أن رواتب المعلمين في المدارس الابتدائية دون رواتب كثير ممن قد حصلوا على نفس المستوى الدراسي واشتغلوا في وظائف حكومية أخرى بوضح نقص كفاية كثير ممن يتقدمون لمعاهد إعداد المعلمين . على أنه لو رفع مستوى التدريس في دار المعلمين الابتدائية الى نفس مستواه في دار المعلمين العالية ، تلك التي تُعد المعلمين للمدارس المتوسطة والثانوية ليصبح لها مستوى الكلية وتم تقرير رواتب المعلم الابتدائي وفق خطة تضمن له نفس الدرجة التي يعين بها مدرسو المدارس

المتوسطة والثانوية ، وروعي في القبول جميع تلك الشروط التي بيناها آنفاً مراعاة تامة ، لاستطاعت دور المعلمين ان توفق لاحتضان طلاب قديرين طموحين يكون منهم معلمون ناجحون في التدريس .

ويجب ان تكون الغاية من الاختيار الحصول على طائفة من الشباب يمكن تدريبهم ليصبحوا قادة في شؤون التربية والتعليم ، ينطوون على رغبة صادقة في الخدمة العامة والخير العام وفي تحقيق المثل الديمقراطية في حدود مهنة التعليم ، على أن يكونوا مالكين لابدان سليمة صحيحة وشخصيات متزنة ، يتقنون فنون المهنة وطرقها ويتسمون بعمق النظرة الفكرية واتساعها وبالذوق والتقدير الفني والمهارات ، وبالشجاعة الخلقية ، يحسنون التعاون ويعرفون كيف يستفيدون من أوقات فراغهم بما لهم من اولاع متعددة ، ويعملون على نماء شخصياتهم نماء مطرداً .

وفيما يلي بعض الاقتراحات حول اختيار الطلاب : -

أ - يجب ان تكون شروط القبول مقصوداً بها الى اختيار اكثر المتقدمين كفاية وقدرة كما تتنبأ بذلك مقاييس الفحص والتشخيص بما فيها الفحص البدني وما يتصل بميزات الشخصية والخلق .

ب - يجب أن ترمي الشروط الى مستوى عالٍ ليقبل على الدراسة المبرزون في الدراسة الثانوية .

ج - إيجاد نظام يفصل بموجبه من يبين عدم صلاحه

للدراسة . والخير ان يكون الفصل بعد السنة الاولى وإلا ففي أي فترة خلال الدراسة يظهر فيها عدم صلاح الطالب ليكون معلما .

د - إيجاد نظام لارشاد الطلاب وتوجيههم شخصياً ، يبدأ من أول عهدهم بالمعهد ويستمر الى فترة ما بعد تخرجهم حتى تتم لهم القـــدرة على التوفيق بين انفسهم وبين مطـالب المهنة والبيئة .

الارشاد والتوجيه

الأرشاد صفة لازمة للتعليم الجيد ، والحاجة لهذا الارشاد هي الدليل على ان التعليم مهنة تتطلب حذقاً ومهارة واعداداً فنياً لا يتم الا بالعناية الخاصة بكل طالب على انفراد لا من طريق الرغبة في تخريج اكبر عدد من الطلاب من دون مراعاة للفروق بين الافراد ، ولما هو عليه كل منهم من حال وغايات وقدرات تختلف فيه عنها في الآخرين .

ويجب أن لا يقتصر الأرشاد على فـــترة التسجيل وبدء الدراسة ، بل يجب أن يكون عملاً مستمراً طيلة مدة الدراسة وبعدها ، يقصد فيه الى استكشاف القدرات والى تيسير النمو والى الفهم المبني على العطف والمودة والى المساعـدة في جميع ما يعترض الطالب من مشاكل وصعوبات . وانما يتم واجب المعـــلم الاجتماعي وما هو مطلوب منه من تعريف النشء بعناصر الثقافة ومشخصاتها ، وبما تنطوي عليه من القيم الروحية

(ذلك الواجب الذي تفرضه نظرتنا التربوية التي تقصد الى دراسة الثقافة والمجتمع) اذا وفق ذلك المعلم الى ارشاد وتوجيه يقوم بها عن طواعية واختيار ويرمي منهما الى المساعدة والعمل على التطور من طريق الايحاء والاقناع لا من طريق الارغام والاكراه ...

بعض اقتراحات تختص بالارشاد

١ – يجب الا يفرط في الأرشاد الى درجة المبالغة ويؤدي الى الفضول الذي يقضي فيه على النشاط والمبادهة وعلى الاستقلال وفقدان القدرة على التوجيه الذاتي.

٢ – يجب ان يكون الارشاد مبنياً على الفهم والعطف خاصة في حالات الشعور المتوفر والحساسية المفرطة وضعف الاتزان العاطفي والشذوذ.

٣ – وقد يكون التوجيه غير المباشر والمعتمد على الايحاء والمستمد من طبيعة البيئة الخاصة أجدى وأبعد أثراً من التوجيه المباشر والارشاد الصريح. ومثال على التكيف الطبيعي غير المباشر، مساعدة الطفل على الحصول على الاسباب المساعدة له على التكيف كأن يتقن لغته ليستطيع التفاهم والتعبير عن نفسه بوضوح فيفهمه الآخرون، وان يتفوق في بعض الفاعليات ليتهيأ له أن ينال تقدير واستحسان الآخرين له، وهو بذلك يوفق الى تحقيق التكيف المطلوب.

٤ – يجب أن يشعر من يحتاج الى الارشاد والاستشارة

من الطلاب أن له ملء الحرية في ذلك ، وان في وسعه أن يلجأ الى مرشده متى شاء . ويجب أن تكون هناك مبادلة مستمرة في الاراء بين الطلاب ومرشديهم من الأساتذة ، يعتاد فيها الطلاب التعبير بحرية عن رغباتهم ومشاكلهم في جو مفعم بالثقة المتبادلة والصداقة الاكيدة .

٥ – ويجب أن يكون هناك مجال لارشاد الطلاب الجدد وقت التسجيل أو قبله ، ليوجهوا في اعمالهم ويبصروا بما يتطلبه محيطهم الجديد ، وأن يستمر ذلك طويلاً فيما بعد .

نظرة جديدة للمنهج

لم يكن وضع المناهج لدور المعلمين وترتيبها في الماضي قائماً على فلسفة تربوية واجتماعية واضحة صحيحة . وكانت النزعة السائدة ان يتم تناول نواحي المعرفة في تنظيمها المنطقي المحض ، فتدرس على تلك الهيئة كما تفعل الكليات الكلاسيكية الحرة من دون تصرف أو مراعاة للاعتبارات النفسية أو للاهداف والغايات الاجتماعية . وما يدرس من أساليب التدريس ، (وهذه تحتل مكانة مهمة الى جانب تدريس المعرفة المجردة) مستمد من علم النفس ولكن في هيئة تفصل بين القواعد وبين المادة والتجارب التي تكون جزءاً منها وتطبيقاً لها . أما القواعد التربوية فهي في كثير من الحالات مبنية على العسف والشدة ، لا يبدو فيها أثر المقاصد الاجتماعية ولا ينفسح فيها المجال أمام الطلاب للمساهمة

الفعلية في عملية التربية . وقد آن الوقت لان يسأل عن الاسس التي يقوم عليها تدريس المواد المختلفة واستعمال الأساليب المتعددة . أما الأساس الذي نشير به وندافع عنه فهو ما كنا نؤكده في فصول هذه الرسالة ونعني تمييز المثل المتضاربة والنزعات المتضادة وتصنيفها والعمل على التوفيق بينها لتيسير ظهور نظام اجتماعي ديمقراطي وتطوره .

وهذا يقتضي ان تكون كل مادة وطريقة وفاعلية ينص عليها المنهج منظوراً فيها لصلتها بتلك الفكرة الرئيسية عاملة على تحقيق ما تنطوي عليه من ذلك المثال الاجتماعي الديمقراطي .

ولا يعني هذا مجانبة صريحة وابتعاداً بيناً عن خطط الدراسة الحالية ، بل تحويراً وتغييراً فيها وتأكيداً لامور وإغضاء عن اخرى .

وسنوضح فيما يلي كيف يمكن تدريس العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية واللغات والفنون مثلا بطريقة يتضح خلالها ما عليه حضارتنا من نزاع بين مثلها وخلاف في اتجاهاتها . وكيف يكون فهم هذا النزاع والخلاف معينا على فضه مؤدياً الى تقدير المثل الديمقراطي الاجتماعي والبصر به والعمل لتحقيقه .

فتدريس العلوم مثلا يجب ان ينتهي باقتناع المتعلمين بان الحقائق الفكرية من عمل الانسان نفسه . وليست وصفاً لذوات ثابتة أزلية لا تقبل التغيير والتبديل ، وأن مادة العلم

هي هذا الكون وحده ، فهو لا يتناول عالماً آخر خارجاً عن نطاق الزمان والمكان مغايراً لعالمنا هذا الذي نعيش ونحيا فيه ..

والصراع بين العلم وبين التقاليد كما يتضح من تاريخ العلوم صراع مستمر بعيد المدى . وحين يعرض لتدريس مواضيع تتصل بتكوين الصواعق والبرق الخ ... يجب ألا يفوت المدرس أن يقارن بين التفسير العلمي لهذه الظواهر وبين تلك التفاسير القائمة على اعتقادات مجانبة للحقائق العلمية ، يتضح فسادها وبطلانها أول ما تعرض لتمحيص موضوعي دقيق . وتتبع نفس هذه الطريقة عند دراسة مواضيع مثل التلقيح وقاية من الأوبئة ، ونظرية الجراثيم ، وانتشار الامراض ، مما يعمل على جلاء الفرق بين الآراء العلمية وغيرها ، القائمة على مجرد الاعتقاد أو الخرافات ...

ويجب أن تدرس العلوم أيضاً بطريقة تتضح بها قيمة ما يؤديه العلم في سبيل السعادة الانسانية وتحقيق المثل الاجتماعي ، بما يوفيه من أغراض وحاجات الناس وما يقوم به من خدمات . واكثر ما يتضح ذلك اذا انصرفت العناية لتأكيد الجانب الاجتماعي والانساني في العلوم . وتدريس العلوم الاجتماعية يجب أن يفضي الى نفس الغاية ، وإن اتخذ لذلك سبيلا آخر . ففي تدريس التاريخ العربي مثلا يجب ان يكون التأكيد على النزاع بين روح الاسلام وبين التيارات القبلية والنزعات العنصرية الضيقة ، فتحتل المقارنة بين الجهتين مكانا

بارزاً في الدراسة . والحق ان التاريخ العربي مليء بالامثلة التي توضح الصراع بين روح الاسلام التي كانت سبباً لما ظهر من صفات التسامح ، والاتجاه الحر فيما يخص العناصر غير العربية ، والحض على المعرفة وتشجيع البحث مما أدى الى امتزاج الحضارة العربية بالحضارات الأخرى وبين النزعات العنصرية والولاء الضيق الذي انتهى بالاستبداد وأدى الى تضييع جهود كثيرة وبعثرتها في ثورات لا طائل منها والى ايجاد حزازات عنصرية كانت سبباً فيما انتهت اليه البلاد من الانحلال والخراب .

وسبيل آخر لتصوير هذا النزاع واستعراض اصوله ، وذلك في تدريس اللغة العربية وآدابها ، فانه اذا أحسن اختيار النماذج الأدبية أمكن جلاء المفارقة البعيدة بين النزعات المختلفة ، وتبيين قيمة الروح الحرة التي يقوم عليها المثال الاجتماعي المرموق .

وتحقيقاً لهذا التعديل الذي نقترحه في المنهج ، يحسن الاسترشاد بالمبادىء والآراء التربوية الحديثة في التعليم والتي أخذت قيمتها تتقرر في الاوساط التربوية وهي تقوم على أساس أن يحتوي المنهج على التجارب المفيدة المرغوب فيها والمؤدية الى تحقيق المثال الاجتماعي . ويحسن أن ينطوي المنهج على التقسيمات التالية :-

١ - اللغات والآداب - بما في ذلك اللغة العربية وآدابها واللغة الانكليزية وآدابها .

٢ ـ الفنون الجميلة : كالموسيقى والنحت والتمثيل والرسم والتصوير والأعمال الفنية .

٣ ـ علوم الطبيعة والحياة : كالكيمياء ، والفيزياء والرياضيات ، وعلم الحياة والفسلجة والصحة .

٤ ـ العلوم الاجتماعية : التاريخ والجغرافية والاقتصاد والاجتماع والعلوم السياسية .

٥ ـ مواد التربية واصول التدريس : وفيها التربية ، وعلم النفس التربوي ، وفلسفة التربية واصول المناهج .. .

ويجب تدريس هذه المواد التي تتصل بالاعداد المهني بصورة موحدة بقدر الامكان ، ولا يجوز دراستها بصورة منفصل بعضها عن بعض . ويجب ان تكون مصحوبة بحمل الطلاب على الملاحظة الدقيقة في دروس المشاهدة ، وعلى المساهمة الفعلية في التدريس منذ البدء في الدراسة . ويجب ان يتم ربط هذه المواد المهنية وغيرها من مواد الدراسة والفاعليات الاخرى . وخير طريقة لذلك أن تتحور مواد الدراسة المختلفة لتكون هي نفسها تطبيقاً لأساليب التدريس تحقق فيها الاغراض التربوية بصورة واضحة . ويجب ألا يكتفى بالتطبيق بمجرد التدريس ، بل يجب ان يضم التطبيق سائر الاعمال والتجارب المطلوبة من المعلم .

ومن الضروري تدريس فلسفة التربية ليتم فيها التوفيق بين الدروس التربوية وبين الأغراض والمثل الاجتماعية الديمقراطية ، وهي السبيل الى تفسير المواد التربوية وتوضيح

وجهاتها وأغراضها وعليهـــا يجب أن تقوم سائر الدراسات الاخرى .

٦ - يجب القيام بتجارب عملية في الزراعة والبستنة وفي الاسعـــاف والصحة وفي تعليم الأميين من الراشدين ، وفي الخدمات العامة الاخرى . وفيها يتزود الطلاب بخبرات عملية بصورة مباشرة ، وعن طريقها يتيسر توفيق الصلة بين المدرسة وبين البيئة أو المجتمع .

ويجب ان تكون هـذه التجارب العملية ذات صـــلة بالمشاكل التي يجابهها العراق وبحاجات سكانه فيما يخص الصحة وتعليم الأميين وتحسين الاساليب الزراعية والخدمات الاجتماعية ولا بد ان تكون جزءاً مهماً في منهاج اعـــداد المعلمين ، ويفرض على الطلبة ان يقضوا شهرين على الأقل في كل من هذه الاعمال . والأفضل أن يكون ذلك خلال العطلة الصيفية . أما ممارسة المعالجة الأولية للامراض البسيطة ، وامور الاسعاف الأولي فتكون في مستشفيات الحكومة ، وأما الاعمـــال الزراعية ففي الحقول التجريبية للحكومة .

تقدير البرنامج الدراسي المقترح

١ — ان ما نفرضه ان تكون جميع نواحي المنهج ومـــا يحتويه من مواد دراسية وفاعليات وإعداد مهني وتجارب عملية ذات صلة بالحياة الاجتماعية الديمقراطية ووسائل لنمائها وتنشيطها وعلى هذا فستكون التربية أمراً حيوياً ذا معنى ووظيفة في

حياة كل طالب ، بل في حياة القطر عموماً .

٢ – ان في الوسع ، وفقاً للمنهج المقترح ، أن تنقص ساعات الدراسة من ٣٢ حصة في الاسبوع كما هي في الوقت الحاضر في أغلب دور المعلمين الى ١٨ حصة اسبوعياً . ومثل هذا الجدول المخفف لا شك سيخفف العبء عن الطلبة والاساتذة ، ويتيح للطلاب الوقت الكافي للبحث الشخصي ، وللاتصال باساتذتهم فرادى أو مجتمعين يلقون منهم ما يحتاجون من ارشاد وتوجيه ، للأعمال (اللاصفية) أو الأعمال المنهجية الاضافية .

٣ – وما دام البرنامج في هيئته التجريبية هذه ، يرمي الى تجديد وتغيير ، فهو لا شك بحاجة الى زيادة الاستقصاء والبحث وقت تطبيقه ليتم بذلك توضيح أسسه وادخال ما تقتضيه الظروف والاوضاع من تعديلات وتحسينات : ونظراً لجدته فقد لا يكون من السهل على بعض الاساتذة تنفيذ ما يتطلبه ، ولذلك يحسن عرض فكرته عليهم اولا ليحيطوا باغراضه ويقفوا على تفاصيله وما ينطوي عليه من مبادىء ، ليتهيأ بذلك استعدادهم للمساهمة في تطبيقه والتعاون على تحقيق اغراضه .

٤ – وما دام هذا البرنامج دعوة لفلسفة وطريقة في الحياة ، تنطوي على بعث اتجاهات ونظرات وعادات خاصة ، فأن نجاحه أو فشله انما يقاس بما يترك من اثر في السلوك العملي الحصيف وما يغرس من صفات التعاون والتسامح

والولاء للمبادىء والمثل الاجتماعيـــة ، والصلابة في الخلق وامثالها ، مما يصعب تقديره تقديراً موضوعياً ، خاصة وان ما يمكن قياسه بهذه الطريقة لا يمثل أهم ما يحتويه هـــذا البرنامج من مميزات .

٥ – ولذلك فان تقدير هذا البرنامج والتحقق من فشله أو نجاحه يحتاج الى وقت طويل . ويجب متابعة من يتخرج من الطلاب على أساس هذا المنهج ، بالملاحظة والبحث عن أحوالهم في المهنة ليكتشف فيما اذا كانت النتائج المنتظرة من هذا المنهج قـــد تمثلت فيهم .

تعيين المتخرجين ومتابعتهم في المهنة

لا يخضع امر تعيين المتخرجين لصعوبات العرض والطلب ، لأن العرض متأخر دائمـــاً عن الطلب . ومع ذلك فان مشكلة التعيين إنما تقع في وضع المتخرجين الجدد في المدارس والمحلات المناسبة التي تساعد في حسن توجيههم وزيادة قدرتهم أو عدمها . والغالب أن يتم تعيين المتخرجين الجـــدد من قبل وزارة المعارف من دون كبير نظر للاعتبـارات والوصايا المقدمة من معاهدهم والتي تراعى فيهـــا حاجاتهم وأولاعهم وقدراتهم . عـلى أن الاهتمام بمكان التعيين ومتابعة الطلاب بالملاحظة واستمرار الاتصال بهم بعد تخرجهم أمور ضرورية لمثل هذا البرنامج التجريبي الذي نقترحه .

فيجب ان يكون المتخرجون على اتصال دائم بمعـاهدهم

ليكون في وسعهم أن يعرضوا مشاكلهم والصعوبات التي يلاقونها والنجاح الذي يوفقون إليه ، ويتسلموا اقتراحات ووصايا مناسبة . وبهذه الطريقة يستفيد الطرفان من هذه المبادلة بالآراء ، ويتهيأ لكل جهة أن تقف على تجارب الجهة الاخرى فتزداد بصيرة بها .

ويجب أن يقوم اساتذة المعهد بزيارات منظمة مستمرة للمتخرجين من تلاميذهم ليزودوهم باحدث الطرق والأساليب وليستفيدوا من تجارب تلامذتهم في تدريسهم في المعهد . ومثل هذه الزيارات لا شك عامل باعث على الخدمات العامة مساعد في ربط المدرسة بالبيئة .

اهداف اعداد المعلمين في العراق

على أساس من نظرتنا الاجتماعية الثقافية ووفقاً للاراء التقدمية في فلسفة التربية وعلم النفس نذكر فيما يلي بعض الاهداف التي نضعها بصورة تقريبية ليهتدي بها كل المعنيين بأمر إعداد المعلمين في العراق وليتعاونوا على تحقيقها ، وهي أهداف معرضة للتحوير والتعديل كلما اقتضت الحاجة ذلك :-

١ - يجب ان يساعد برنامج إعداد المعلمين في العراق جميع من سيمتهنون التعليم على زيادة بصيرتهم بالحضارة العربية الاسلامية عامة وبفرعها العراقي خاصة لازالة ما فيها من الاضطراب والحيرة ، وتجديدها تجديداً تقوى به عناصرها

الطيبة وتأخذ فيه وجهة صالحة .

٢ – يجب ان يكون هذا البرنامج ممثلاً للحياة الديمقراطية بما يهيء من محيط مدرسي يتزود فيه الطلبة بالخبرات والاتجاهات الضرورية للمعيشة الديمقراطية ، ومن دراسة للمذهب الديمقراطي تزيد بصيرتهم بمفهوم الديمقراطية . وهذا يستدعي ما يأتي :

أ – يجب ان يهتم المعهد بتطور ونمو كل طالب .

ب – بعث القدرة في الطلاب على التفكير المبدع والتأمل المنتج في ملاقاة ما يعترضهم من مشاكل في الحياة وتقوية هذا الاتجاه فيهم .

ج - تعويدهم التعاون مع الآخرين .

د – ايجاد شعور اجتماعي فيهم ، بتعلقهم بالمثال الاجتماعي وتقديرهم له ، وباحترامهم لحقوق وحريات الآخرين .

٣ – يجب ان تكون كل ناحية من نواحي البرنامج ذات صلة وثيقة بالمثال الاجتماعي للديمقراطية وان تسند ذلك المثال من حيث هو وحدة شاملة . وهذا يعني مبدأ التوحيد وبموجبه تكوّن الاجزاء الضرورية في البرنامج من الادارة والمنهج والطريقة الخ ... وحدة منسجمة .

٤ – يجب ان يعين هذا البرنامج كل طالب على ان يصوغ له فلسفة اجتماعية خاصة به ضمن النظام الاجتماعي المرغوب فيه ، معتمداً على ذكائه وتفكيره في اختيار القيم والاحكام الاخلاقية متحملاً تبعة ما تأتي به هذه الاحكام

من نتائج .

٥ – يجب ألا يقتصر البرنامج على مجرد تزويد الطلبة بالمهارة المهنية والكفاية في التدريس ، بل يجب أن يؤدي الى تنظيم بعيد الغور لحياة كل منهم ، بما في ذلك تزويدهم بالعادات والاتجاهات وطرائق التفكير التي تعينهم على اعادة النظر في اعتقاداتهم السالفة ووزنها بمعيار المثال الاجتماعي الديمقراطي . وهذا يعني تنمية روح البحث والتطلع والشك وفقاً للامانة العلمية ، وتناول الآراء بتمحيص موضوعي دقيق.

٦ – يجب ان يحتوي برنامج اعداد المعلمين على ثقافة عامة واسعة واعداد مهني واف وأولاع فكرية خاصة تزيد في وفرة حياة كل طالب من جهاتها الاخلاقية والاجتماعية والفكرية .

٧ – يجب ان تمتد فترة الدراسة لمعلمي المدارس الابتدائية إلى ثلاث سنوات بعد الدراسة الاعدادية فتصل بذلك نفس المستوى لمدرسي المدارس المتوسطة والاعدادية أو تقاربه .

٨ – يجب ان يحصل معلمو المدارس الابتدائية على نفس الراتب لمدرسي المدارس الثانوية ويكون لهم نفس الحقوق والفرص للتقدم والترفيع . وهذا يعني تفضيل خطة الرواتب الموحدة على خطة الرواتب المضاعفة .

٩ – يجب ألا تقتصر الدروس التطبيقية على مجرد التدريس بل تضم جميع التجارب والواجبات التي تتصل بمهنة التعليم .

١٠ – وعظم الواجب الملقى على عاتق المعلم في قطر

كالعراق حيث الوسائل الاجتماعية للتثقيف ضعيفة ، وما هو مطلوب منه من مسؤوليات جمة ، امور تفرض الاعتناء الدقيق في اختيار المتقدمين لدور المعلمين . وانما يتحقق هذا الغرض بجعل شروط القبول شروطاً ترمي الى اختيار اكثر المرشحين كفاية كما تدل على ذلك جميع القياسات ، بما فيها الكشف الصحي وقياس الشخصية .

١١ – يجب ان يرمي نظام إعداد المعلمين الى جعل الطلاب في اتصال دائم ببيئاتهم لكيلا يكون التعليم تعليما شكلياً ، بعيداً عن الواقع غير متصل بالحياة .

١٢ – يجب أن ينطوي برنامج إعداد المعلمين على تزويد الطلاب بتجارب عملية وافرة في الصحة وطرق العلاج ، وفي الزراعة ، وفي الخدمات العامة ، وذلك إما خلال السنة المدرسية أو في العطلات الصيفية . ولما كان من الممكن الحصول على تسهيلات كافية في مستشفيات الحكومة وحقولها التجريبية فيحسن ان تتم تلك الواجبات العملية للطلاب فيها تحت اشراف الاخصائيين في تلك المؤسسات .

١٣ – ويجب أن تؤدي مناهج تدريس الطلاب وتربيتهم الى النمو الشامل لكل طالب خلال الدراسة وبعدها عند قيامه بالمهنة . ويجب ان يكون المتخرجون في اتصال مستمر بمعاهدهم يتبادلون مع الهيئات فيها الاراء ويصفون ما يجدون من خبرات وتجارب . ويتسلمون من تلك المعاهد الجديد من البحوث والارشادات بصورة مستمرة .

وعلى وجه الاجمال ، نرى ان التربية في العراق لا تزال تستظل بظل تقاليد المثلين اللذين وصفناهما – المثل التقليدي والمثل الكلاسيكي – وهي حال تمثل ما عليه التربية من تأخر ، ذلك التأخر الذي يكاد يكون عاماً في كثير من الاقطار . وليس لدينـــا شك في ان واجب التربية الاول هو ازالة الغموض والاضطراب في الثقافة وتجديدهـــا . ومن يؤمن بالديمقراطية لا يزعم لنفسه الحق في اكتساب المشايعين لهـا عن طريق التلقين والاكراه ، بل إن واجبه فيما يخص التربية يقتضيه ان يهيء لهم أن يتزودوا بالتجارب والخبرات التي تفتح لهم سبيل المعرفة المباشرة بالديمقراطية والاحساس بهـا وتقديرها ، كما أن عليه أن يتناول الثقافة بالدرس والتمحيص لتتضح أسسها وتستعرض مقوماتها استعراضاً قائماً على التمييز بينها والادراك لصفاتها ، ليتم من وراء ذلك كله ان يكون المتعلمون على يقين من أن عليهم واجب الاختيار لمـــا يتطلبه مجتمعهم من قيم ومعايير ، وأن ما في ذلك المجتمع من تقاليد في حاجة كبيرة الى أن يجددوا تفسيرها وتنظيمها . يفعل المؤمن بالديمقراطية ذلك وهو على يقين من انه اذا تم للديمقراطية ان تكون مفهومة ، غنمت وفازت بفضل مزاياها من دون حاجة الى التلقين والاكراه .

فهرست

مقدمة ٣

١ — تمهيد في الثقافة العربية الاسلامية ٩

ظهور العرب والاسلام ، الاسلام والعروبة ، الثقافة العربية الاسلامية ثقافة عالميه ، اللغة العربية ، دور العرب في الحضارة ، الخلق العربي .

٢ — مقومات الثقافة العربية الاسلامية ٣٣

٣ — التباين والتصادم في مقومات الثقافة العربية الاسلامية ٤٨

٤ — تطور في مفهوم المثل الاعلى للديمقراطية ٥٤

بعض النتائج التربوية التي ينطوي عليها مفهوم الديمقراطية

٥ — نظرة في احوال العراق وصلتها بالتربية والتعليم ٦٤

نظام التعليم العراقي في العهد التركي ، نظام التعليم تحت الحكم الوطني ، اهداف التربية والتعليم في العراق ، الحياة المدرسية واقسامها

٦ — الدراسة الأولية والابتدائية ٨٩

الادارة والتنظيم المدرسي ، طرق التدريس ، الدراسة المتوسطة والاعدادية .

٧ — معاهد إعداد المعلمين في العراق ١٠٦

جداول توزيع الدروس في دور المعلمين والمعلمات ، نقد موجز لمعاهد اعداد المعلمين ، انتقادات اخرى للمنهج

٨ — اقتراحات حول إيجاد برنامج جديد لاعداد المعلمين في العراق ١٢٢

الادارة المدرسية ، اختيار الطلاب الجدد ، الارشاد والتوجيه ، نظرة جديدة للمنهج ، تقدير البرنامج الدراسي المقترح ، تعيين المتخرجين ومتابعتهم في المهنة ، اهداف المعلمين في العراق .

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072541699

ثمن النسخة:
في العراق : نصف دينار
في سائر العالم العربي : ٤ ليرات لبنانية او ما يعادلها .

مطبعة الكشاف بيروت